AIJLLS |MARCH 2020 | VOL 4 ISSUE 9
مجلة اللسان الدولية / العدد التاسع (مارس 2020م/ 1441 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

القلقلة في القرآن الكريم، دراسة صوتية

Qalqalah in the Holy Qura'an, an Phonological Study

د. أحمد طه رضوان

Dr. Ahmed Taha Radwan

أستاذ علم اللغة المشارك – معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Assistant professor at the Institute for Teaching Arabic to Speakers of other Languages
The Islamic University of Al-Madinah Al-Munnawarah

dahmedtaha@hotmail.com

ملخص البحث:

يقوم البحث بدراسة ظاهرة القلقلة في القرآن الكريم، من الناحية الصوتية، من وجهة نظر المعارف الصوتية الحديثة، دون إغفال للجهود المشكورة التي بذلها علماؤنا القدامى، ومقارنًا بين ما كُتب حول هذه الظاهرة قديمًا وحديثًا. وقد خرج البحث من هذه المقارنات بأن صويت القلقلة يشبه الصائت لإكزي المعروف في اللغات الأوربية بـ(الشوا) ولكنه ليس مطابقًا له. وأن القلقلة كصويت ينتمي إلى جنس الصوائت وليس جزءًا من الصوت المقلقل. وأن علة اختصاص الأصوات الخمسة (قطب جد) بالقلقلة يعود فقط إلى صفة الشدة (الانفجار) في هذه الأصوات.

الكلمات المفتاحية: القلقلة–التجويد–الشوا – الأصوات الانفجارية.

Abstract:

The research studies the phenomenon of Qalqalah in the Holy Quran, in terms of the vocal side, from the point of view of modern vocal knowledge, without neglecting the thankful efforts made by our ancient scholars, and comparing what has been written about this phenomenon, both ancient and modern. The research has came out from these comparisons that the voice of Qalqalah is similar to the central voice of vowels known in European languages as (Schwa), but it is not identical to it. And that Qalqalah as a voice belongs to the gender of the vowels and is not part of the Qalqalah letters. And that the reason for the competence of the five voices (qutb jad) with Qalqala is only due to the characteristic of the intensity (explosion) in these voices.

Key words: Qalqalah - tajwid – schwa - Explosive vowels

مقدمة:

قامت المعارف المتصلة بعلم التجويد في بداية أمرها على أساس المعارف الصوتية التي صاغها علماء اللغة كالخليل وسيبويه وغيرهما، حتى استوى التجويد كعلم مستقل في أواخر القرن الرابع الهجري تقريبا، ولكن ظلت هذه العلاقة قائمة بين علم الأصوات وعلم التجويد، لا يستغني أحدهما عن الآخر، عمودها الفقري ما كُتب في عصر سيبويه، حتى كان العصر الحديث وظهور مسائل صوتية خرجت في معالجتها عن المألوف، وخاصة فيما أظهره علم الأصوات التجريبي من مراجعات لبعض تلك المسائل المستقرة من عهد سيبويه. ولما لم يكن أكثر علماء التجويد متخصصين في العلوم الصوتية الحديثة، فقد ظهرت مفارقات تمثلت في إخضاع المتخصصين في علم الأصوات لظواهر التجويد للبحث والدراسة، في الوقت الذي تمسك فيه طائفة

من علماء التجويد بالموروث الصوتي، والدفاع عنه بوصفه دينًا، والنظر بريبة إلى الآراء والمراجعات الحديثة، خشية أن يمس ذلك النص القرآني من قريب أو بعيد.

وتجاوز هذه الهوة بشكل حاسم يحتاج – من وجهة نظري – أن نفرق بوضوح بين تجويد القرآن الكريم كطريقة أداء وبين علم التجويد الذي يقوم أساسا على معارف صوتية، فقد بلغتنا تلاوة القرآن الكريم عن نبينا صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة، وبلغتنا بالتواتر والتلقي الشفاهي جيلا وراء جيل، ولا مجال للحديث عن أي تعديل فيها. أما علم التجويد وتقعيده ومعالجاته الصوتية فجهد بشري، غايته الوصف للفهم والتيسير: فهم الظاهرة من الناحية الصوتية، وتيسيرها على المتعلمين.

وفي هذا البحث، أحاول معاودة النظر إلى ظاهرة معروفة في علم التجويد، هي القلقلة، حيث كثُر فيها الحديث والكتابة من علماء التجويد والأصوات، حتى اختلطت فيها الآراء والاجتهادات بالحقائق، فكان لزامًا من وقفة تحليلية لخلاصة ما قيل فيها، أحاول أن أنظر فيها من وجهة نظر المعارف الصوتية الحديثة، دون إغفال للجهود المشكورة التي بذلها علماؤنا القدامى، فهو طريق واحد يضع كل جيل فيه بصمته، وسيجد من يطالع هذه الصفحات أننا لا نستطيع بحال الاستغناء عما كتبه علماؤنا من قديم، سواء علماء التجويد أو علماء اللغة. وفيما أسطره – في هذا البحث وغيره – أضع الهدف الذي أبحث من أجله نصب عيني: الوصف الذي يؤدي إلى فهم الظاهرة، لا الذي يقود إلى أي تعديل في أدائها عمليًّا في تلاوة القرآن الكريم.

سيكون تركيز البحث في استجلاء طبيعة صويت القلقلة، وعلاقته بالصائت المركزي المعروف بـ(الشوا)، وبحث مسألة استقلال صويت القلقلة عن الأصوات المقلقلة ذاتها، وصولا إلى مناقشة علة القلقلة واختصاص الأصوات الخمسة بها دون سواها. وقد أجزت لنفسي في سبيل ذلك مخالفة أكثر من رأي من آراء أساتذتنا، على الرغم من عظيم تقديري لهم، فهكذا تعلمنا منهم. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

أولا: طبيعة القلقلة:

1– تعريف القلقلة:

القلقلة أحد الملامح الأدائية المميزة لتلاوة القرآن الكريم، فهي لا تأتي في كلام الناس إلا عرضًا ودون قصد، أما في القرآن الكريم فلها طريقة محددة في الأداء ومواضع محددة تأتي فيها، والقلقلة كغيرها من أحكام التجويد تعتبر من شواهد الإتقان والدقة؛ حرصا على إخراج الأصوات مكتملة الصفات لا تلتبس بغيرها، وكما ينبغي أن تكون في اللغة العربية [1].

وقد وردت أصوات القلقلة في القرآن الكريم (3837) موضعًا، موزعةً على (2644) آية من آيات القرآن الكريم البالغ عددها وفق تعداد المصحف الكوفي (6236) آية. بينما خلت (3592) آية من القلقلة [2].

من معاني القلقلة في اللغة: التحريك والاضطراب، ففي اللسان (والقَلْقَلَة: شِدَّةُ اضْطِرَابِ الشَّيْءِ وَتَحَرُّكِهِ، وَهُوَ يَتَقَلْقَل ويَتَلَقْلَق. أَبو عُبَيْدٍ: قَلْقَلْت الشَّيْءَ ولَقْلَقْتُه بِمَعْنًى وَاحِدٍ) [3]. وهذا هو ما يحدث عند نطق الأصوات المقلقلة حال سكونها.

أما في الاصطلاح فاللفظ الجامع له ما صاغه الهدهد بقوله: (القلقلة عبارة عن صويت يتبع حروف القلقلة، ناتج عن اضطراب المخرج حال النطق بها ساكنة، وهذا الصويت في المتطرفة أشد من المتوسطة) [4].

ولخّص صاحب المعجم التجويدي معناها لغة واصطلاحا بقوله: (هي إحدى الصفات التي لا ضد لها، وهي في اللغة التحريك والاضطراب. واصطلاحا: هي اضطراب الحرف [يقصد الصوت] في مخرجه عند النطق به ساكنا حتى يسمع له نبرة قوية؛ لانضغاطه وانحباسه، وعندئذ يحتاج إلى القلقلة حتى يظهر. وأحرفه خمسة مجموعة في [قطب جد]) [5].

2– أصوات القلقلة:

الذي عليه جمهور العلماء أن الحروف التي تأتي معها القلقلة خمسة، هي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال، يجمعها قولهم (قطب جد). ولكن هذا الرأي الذي أطبق عليه الجمهور قديما وحديثا، وثبتت به القراءات؛ لم يَخْلُ من معارضة.

خالف قديما سيبويه، حيث يرى إضافة صوت التاء، والمبرِّد الذي يرى إضافة صوت الكاف إلى أصوات القلقلة، وعند ابن أبي مريم الشيرازي أن الضاد والزاي والذال والظاء من حروف القلقلة، وفي كتاب الإيضاح للخراساني أن اللام من حروف القلقلة، وهناك مَن أضاف الهمزة كذلك إلى أصوات القلقلة [6].

وخالف حديثا إسماعيل عمايرة الذي يرى إخضاع الهمزة المحققة والضاد بنطقها الحالي للقلقلة. وخالف كمال بشر الذي يرى إخضاع الأصوات التالية كلها لعملية القلقلة: الهمزة – القاف – الكاف – الجيم – الطاء – الضاد – الدال – التاء – الباء؛ بإضافة أصوات الهمزة والكاف والضاد والتاء إلى الأحرف الخمسة المتفق عليها، بناء على رؤيته لعلة القلقلة، وهو ما سأتعرض له لاحقا تحت عنوان (علة القلقلة).

ومسألة إضافة أصوات قلقلة غير الخمسة المتفق عليها مبني على نظر واجتهاد في سبب القلقلة وعلتها، وبناء على ذلك حكموا بإضافة تلك الأصوات، ولأنه اجتهاد، فقد تباينت أقوالهم فيما ينبغي أن يضاف إلى القلقلة من أصوات، وهو مسلك لا أراه صوابًا في عمومه، فقلقلة الأصوات الخمسة إنما أتى عن طريق الرواية والتلقين الشفاهي، وهي يقين، والقول بأن علة القلقلة هي كذا أو كذا إنما هو اجتهاد، وهو ظن واحتمال، واليقين لا يزول إلا بيقين مثله !

وهذا بيان موجز لطريقة نطق كل صوت من هذه الأصوات الخمسة، والاختلاف في وصفها – إن وُجد – بين علمائنا القدامى وعلماء الأصوات المحدثين:

صوت القاف:

القاف في وصف المحدَثين صوت لهوي، انفجاري، مهموس، مرقق، وينطق بأن يرتفع مؤخرة اللسان فيلتصق باللهاة والجدار الخلفي للحلق، فيسد بذلك مجرى الهواء، في حين يرتفع الطبق ملتصقا بالجدار الخلفي للحلق كذلك فيسد المجرى الأنفي، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة فيخرج الصوت منفجرا، ولا تهتز الأوتار الصوتية.

وهي عند الخليل لهوية مع الكاف، أما عند سيبويه ومن جاء بعده من اللغويين والقراء، فهو صوت طبقي مجهور، يقول: (من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، مخرج القاف)، وجمَعها مع الأصوات الشديدة، ووصفها بأنها مجهورة [7].

فالخلاف الأساسي الذي بين القدماء والمحدثين في صوت القاف، هو وصفهم لصوت القاف بأنه صوت مجهور، حيث إن صوت القاف الذي نسمعه اليوم من مجيدي قراء القرآن الكريم صوت مهموس لا شك في ذلك.

ذهب بعضهم إلى أن القاف كانت مجهورة ثم أصبحت مهموسة، وذهب آخرون إلى أن القاف الفصيحة قديما كانت مهموسة، وأن سيبويه حين وصف صوت القاف بالجهر كان يقصد صوت الكاف الذي يطلق عليه الدراسون اليوم الجيم القاهرية. وذهب آخرون إلى أنه كان يقصد صوتا شبيها بالغين، فهي القاف كما ينطقها أهل السودان وبعض أنحاء العراق اليوم، فهو صوت قاف مجهورة، وهذه آراء مرجوحة مردود عليها في مظانها [8].

والراجح هاهنا هو احتمال وَهْم سيبويه في وصف القاف بالجهر، لأنه في وصفه للقاف وصَفَها بصفاتها كما ننطقها في الفصيحة الآن، ولم يخالف إلا في كونها لهوية المخرج. ولعل مما يقوي هذا الرأي هو القوة والنصاعة الموجودة في صوت القاف، وقلقلتها في كثير من مواضعها، مما يجعل توهم كونها مجهورة ممكنا، هذا بالإضافة إلى صعوبة نطق صوت شديد مجهور من مخرج القاف [9].

فالخلاصة أن القاف التي نقرأ بها القرآن الكريم في زماننا هذا مهموسة قولا واحدا، وهذا لم يعد رأيًا أو اجتهادًا، وإنما أصبح حقيقة تواترت عليها أبحاث العلماء. الخلاف في القاف قديما، أكانت مهموسة مثلها، أم أنها كانت مجهورة أصابها الهمس.

صوت الطاء:

الطاء وفق وصف المحدثين صوت أسناني لثوي، انفجاري، مهموس، مفخم، يتم نطقه بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الثنايا العليا واللثة التصاقا تاما يمنع مرور الهواء، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، فينسد التجويف الأنفي، وترتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ثم يزول السد فجأة (طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا واللثة) فيخرج الصوت محدثا صوتا انفجاريا [10]. ولصوت الطاء نظير مجهور هو الضاد، ونظير مرقق هو التاء.

أما الطاء عند القدماء، فهي صوت شديد مجهور مفخم، يقول سيبويه: (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا)[11]؛ أي أنها عنده النظير المفخم للدال، في حين أنها في نطقنا اليوم، النظير المفخم للتاء.

وقد انقسم الدارسون المحدثون إزاء ذلك إلى فريقين، فريق يقول بتغير حرف الطاء القديم عنه في الحديث، فالطاء القديمة كانت مجهورة، تشبه نطقنا للضاد الحديثة، ولم يكن للطاء التي ننطق بها اليوم وجود، فتطورت الضاد في الوقت الذي تطورت فيه الطاء أيضا، واستبدل همسها بالجهر. ومن هؤلاء برجشتراسر، وإبراهيم أنيس، ورمضان عبد التواب، وعبد الصبور شاهين [12].

ويرى جبل أن الطاء الفصيحة كانت مجهورة، مستشهدا ببعض الأبيات الشعرية القديمة التي تعاقبت فيها الطاء الفصيحة بالدال، وهو لا يقول بأن الطاء الفصيحة هي الضاد الحالية، ولكنه يقول إنهما متشابهتان، وهو قول لعله يكون أكثر قبولا من السابق [13].

أما الفريق الآخر، فهو يرى أن الطاء لم تتغير، وكانت مهموسة كنطقنا اليوم، ولكن كانت مهموزة، أي كان يصحبها إقفال للأوتار الصوتية عند النطق، فأصبح الهمز جزءًا لا يتجزأ من نطقها، وقد أوقع هذا النطق الغريب القدماء، فعدُّوها مجهورة. وصاحب هذا الرأي هو تمام حسان[14]. وهو قول له وجاهته، غير أنه يحتاج إلى تدليل.

والقطع بالصواب في هذه المسألة يحتاج لدراسة تاريخية موسعة لهذه الأصوات، وإن كنت أرى – حاليا، ووفقا للشواهد المتاحة – أن الطاء كانت مجهورة قديما، ثم حدث لها الهمس، ولعلها كانت تشبه الضاد الحالية في بعض أوجه النطق، لا أنها كانت تماثلها، يقول عبد المنعم النجار: (والواقع أن الطاء القديمة كانت مجهورة، وقد حذّر المرعشي من أن يقلّ جهر الطاء فتتحول إلى طاء مهموسة، أو تاء مطبقة أو تاء مفخمة، وما يحذر منه هو واقع الطاء المهموسة التي ننطقها اليوم، لا وقت نزول القرآن، ولا وقت وصف علماء العربية وأهل التجويد والأداء للطاء، وليسوا مخطئين في وصفهم لها بالجهر) [15].

صوت الباء:

الباء صوت شفوي، انفجاري، مجهور، مرقق، يتم نطقه بأن تنطبق الشفتان انطباقا تاما، يمنع مرور الهواء، ثم يزول السد فجأة، فيخرج الهواء محدثا صوتا انفجاريا. هذا مع تضييق للمسافة بين الوترين الصوتيين في أثناء مرور الهواء، فيهتزان. بالإضافة إلى انخفاض مؤخرة اللسان بعيدا عن الطبق، وارتفاع الطبق إلى أعلى ناحية التجويف الخلفي للحلق. ويكون التجويف الأنفي مغلقا.

وهذا الوصف لصوت الباء ليس موضع خلاف بين القدامى والمحدثين [16]. ولعل هذا مرجعه إلى وضوح مخرج الباء للعين المجردة، مما سهَّل بيان كيفية نطقها.

صوت الجيم

الجيم وفق وصف المحدثين صوت غاري، انفجاري احتكاكي (مركب)، مجهور، مرقق. ولنطق هذا الصوت يلتصق مقدمة اللسان بالغار التصاقا تاما يمنع مرور الهواء، ولا يزول السد فجأة كما هو الحال في الأصوات الانفجارية، وإنما يزول ببطء، فيترتب على ذلك حدوث احتكاك للهواء الخارج فيما بين مقدمة اللسان والغار، يشبه الاحتكاك المسموع في صوت الشين المجهورة، وبذلك يكون صوت الجيم الفصيحة مكونًا من صوت دال مغوّر يعقبه صوت شين مجهور، وهذا التعاقب لا يكاد يلحظه الناطق، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي، وتتذبذب الأوتار الصوتية [17].

وهذه العملية المركبة لم يكن من الممكن اكتشافها إلا حديثا باستخدام المعامل الصوتية، لذا فالقدماء معذورون في عدّ الجيم من الأصوات الشديدة. كما ذكر سيبويه، وتابعَه السخاوي في قوله: (ومنها حروف تمنع النفس وهي الشديدة، وقال أبو الحسن الرماني: (أجدك قطبت) هذه الشديدة وما عداها رخو) [18].

ويمدنا سعد مصلوح بدليل تجريبي معملي على ازدواجية الجيم الفصحى؛ يقول متحدثا عما يُسمى بالانفجاريات المحتكة: (وثمة أدلة تجريبية على أن هذا النوع من الصوامت يتكون من عنصرين واضحي التميز: أولهما يأتي نتيجة الاحتباس وينتمي إلى مجموعة الوقفيات. والآخر نتيجة احتكاك الهواء وينتمي إلى مجموعة الاحتكاكيات) [19].

وقد كشفت لنا دراسة اللغات السامية أن الأصل في هذا الصوت أنه كان بدون تعطيش، كما يُنطق الآن في العامية المصرية، فهكذا هو في العبرية، والسريانية، والحبشية. ولكنه تغيّر في العربية الفصيحة قبل نزول القرآن وصار ذلك الصوت المركب، وبه نزل القرآن الكريم، وبذلك صار الصوت المركب للجيم هو (الفونيم) الفصيح في العربية وباقي الصور (ألوفونات) أو لهجات [20].

ويذهب كمال بشر إلى أن القدماء كانوا يصفون جيمًا أخرى هي الجيم القاهرية، تأسيسا على أن الأصل القديم للجيم الفصيحة هو الجيم القاهرية (النظير المجهور للكاف العربية)، وهو رأي أراه مجانبا للصواب، فإن أصل الجيم هذا – إنْ صحّ الاستدلال – كان قبل نزول القرآن الكريم، ولم يكن ليفوت علماء اللغة من قديم لاختلافه الواضح عن الجيم الفصيحة التي نقرأ بها القرآن الآن [21].

في حين يذهب أحمد مختار عمر مذهبا يرى فيه أنه لا يوجد صوت مركب في العربية، وأن التركيب في الجيم ليس مقصودا وإنما ينتج بصورة آلية حين يحاول المرء قفل المجرى بإحكام في هذه المنطقة ثم تفجيره... فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى عدوا الصوت انفجاريا، والمحدثون حين نظروا إلى الصويت الذي يسبق النطق عدوا الصوت مركبا [22].

وعلى أية حال، فالازدواج، وإن لم يكن معروفا عند القدماء، بدليل وهمهم في وصف ظاهرتي الكشكشة والكسكسة [23]، في نطق بعض القبائل العربية للكاف المكسورة؛ إلا أن اشتباه حرف الجيم بحرف الشين كان واضحا عندهم، نلمح ذلك في قول السخاوي:

(والجيمُ إنْ ضَعُفَتْ أَتَتْ مَمْزُوجَةً

بالشّينِ، مثل الجيمِ بالمِرْجانِ)[24]

فضعف الجيم يُنتج شينا، لأنه سيُفقدها الجانب الشديد منها وهو الدال المغوّر.

والخلاصة أن صوت الجيم الفصيح الذي نقرأ به القرآن لم يدخله تغيّر، اللهم إلا في اللهجات العامية. وأن اختلاف وصف هذا الصوت بين القدماء والمحدثين إنما هو اختلاف في الاصطلاح فقط، مرده إلى أنهم لم يفطنوا إلى أنه صوت مركب [25].

صوت الدال:

الدال: صوت أسناني لثوي، انفجاري، مجهور، مرقق، عند النطق بهذا الصوت يلتصق طرف اللسان بأصول الثنايا العليا واللثة التصاقا تاما يمنع مرور الهواء، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، فينسد التجويف الأنفي، وتكون مؤخرة اللسان في وضع أفقي، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ثم يزول السد فجأة (طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا واللثة) فيخرج الصوت محدثا صوتا انفجاريا. وصوت الدال له نظير مفخم هو صوت الضاد، وله كذلك نظير مهموس هو صوت التاء [26].

ولا يوجد اختلاف بين القدامى والمحدثين في وصف صوت الدال.

3– بين القلقلة و(الشّوا):

القلقلة عبارة عن صويت يتبع نطق خمسة من الأصوات، يشبه الحركة ولكنه لا يبلغ أن يكون حركة كاملة، وهو بالحركة المخْتَلَسة أشبه، (وهي عبارة عن إضافة صائت قصير جدا بعد أحد الصوامت الآتية: القاف والطاء والجيم والدال والباء. ويتم ذلك عندما تكون هذه الصوامت متلوة بصامت آخر وسط الكلمة أو موقوفا عليها في آخرها) [27].

وفي كيفية أدائها خلاف بين العلماء على مذاهب:

المذهب الأول: أنها تتبع ما قبلها من الحركات، فتضم في مثل: (اذْخُلُوا) [يوسف: 99]، وتُكسر في مثل: (إِبْراهِيمَ) [الممتحنة: 4]، وتُفتح في مثل: (الْأَبْتَرُ) [الكوثر: 3].

المذهب الثاني: أن الحرف المقلقل يتحرك بحركة مناسبة للحرف الذى بعده عند قلقلته مفتوحا كان أو مكسورا أو مضموما، أي أن القلقلة تابعة لحركة الحرف الذى بعدها حتى تتناسب الحركات.

المذهب الثالث: أنها أقرب للفتح مطلقا، بصرف النظر عما يسبقها أو يتبعها، سواءً كان مضمومًا نحو (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: 147]، أو مفتوحًا نحو: (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) [النساء: 124]، أو مكسورًا نحو: (وَلا تُشْطِط) [ص: 22].

المذهب الرابع: أنها حركة مختلسة لا تميل إلى أيٍّ من الحركات الثلاث، وهذا القول أشار إليه غير واحد من علماء التجويد حديثا، فمن ذلك: (القلقلة ليست مائلة للفتح ولا مائلة للكسر ولا تابعة لما قبلها، ويفهم ذلك عند التطبيق من شيخٍ متقنٍ) [28].

والأرجح الذي عليه معظم أهل الأداء قديمًا وحديثًا المذهب الثالث، وقال بعضهم في ذلك:

وقَلْقَلَةً قَرِّبْ إلى الفتحِ مُطْلَقًا... ولا تُتْبِعَنْها بالذي قَبْلُ تُقْبَلا [29]

وهذا المذهب بالإمالة إلى الفتح مطلقًا هو ما انتهى إليه تحليل القلقلة في قراءة الشيخ محمود خليل الحصري رحمه الله[30].

ومما هو جدير بالذكر أن تلك الآراء لم تظهر إلا بعد أن استوى علم التجويد كعلم مستقل، أما قبل ذلك فلم يرد عن المتقدمين كلام حول طبيعة القلقلة بهذه الدقة. ولسنا في حاجة لبيان

أنه من الناحية الفوناتيكية البحتة، فإنه لا فرق بين كل هذه الآراء في أداء القلقلة، فالمهم هو وجود صويت مختلس بعد الأصوات الخمسة المعروفة.

وقد أجرى محمد صالح الضالع بحثا تجريبيا درَس فيه القلقلة، هدَف فيه إلى معرفة ما إذا كانت صفة القلقلة هي نفسها الصائت المعروف بالشوا [31]، والذي وصفه علماء الأصوات في بعض اللغات الأوروبية مثل الإنجليزية، ويقع الشوا في منتصف مربع دانيال جونز للصوائت، ورمزه [ə]، ونقل عن هفنر وكاتفورد قولهما أن الشوا فصيلة صوتية تحوي ألوانا مختلفة ومتنوعة من الصوائت الوسطية [32].

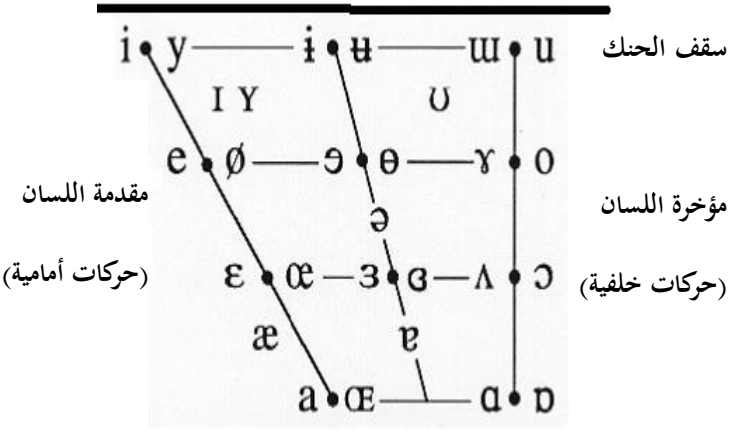

مربع دانيال جونز للصوائت [33]

قام د. الضالع بتحليل عشر كلمات من سورة الكهف فيها أصوات قلقلة وسط الكلمة للشيخ عبد الباسط عبد الصمد، وفي المقابل قام إنجليزيان بنطق كلمتين عدة مرات تحتويان على صوت الشوا بعد صوت (b) وهو المقابل للباء العربية، وأظهرت النتائج التشابه الكبير بين أصوات القلقلة وبين صوت الشوا في الإنجليزية، وكلاهما وصف بأنه صوت مختلس، ويمكن أن يوصف بأنه صائت وسطي قصير جدا[34].

وبناء على ذلك التشابه بين القلقلة وصوت الشوا، وصف د. الضالع القلقلة بقوله: (ومن الناحية الصوتية فإن هذه الصفة عبارة عن إضافة أو إقحام صائت قصير جدا لا لون صوتي محدد له، أي لا هو بالضم ولا بالكسر ولا بالفتح. وهذا الصوت المقحم يشبه الصوائت الوسطية المركزية وبالأخص صوت الشوا [ə]، وأضاف: (لقد أدى القصر الزمني لهذا الصوت إلى عدم اعتباره صوتا مستقلا بذاته، ناهيك عن عدم وجود نظرة مستقلة للصوائت القصيرة بعامة في الكتابة والأصوات العربيتين، واعتُبر – بدلا من ذلك – صفة تلحق بعضا من الأصوات الانفجارية أو أصوات (قطب جد) مثل صفة النفسية أو النفخ في البعض الآخر من المجموعة ألا وهي الأصوات الانفجارية المهموسة) [35].

وما انتهى إليه بحث الضالع، يؤيد ما ذكره بعض العلماء في المذهب الرابع الذي سبق ذكره، من أن القلقلة لا تمال إلى أي من الحركات الثلاث.

وعلى الرغم من أهمية ما انتهى إليه الضالع في المقارنة بين القلقلة والشوا، فإنني أرى أن ما بين القلقلة والشوا مشابهة لا مطابقة، فالقول بأن القلقلة ليس لها لون محدد مثل الشوا أمر لا يخلو من معارضة، فالقلقلة – كما سبقت الإشارة – قد تكون لا لون لها عند بعض القراء، كما يمكن لمن يقرأ إمالتها إلى الفتح أو الكسر أو الضم، والمختار عند علماء التجويد إمالتها إلى الفتح.

أيضا فالشوا في غير العربية ليست صائتًا لا لون له في كل الأحوال ، فقد ذكر لي أستاذي الدكتور عمر صابر أن الشوا في العبرية عبارة عن كسرة قصيرة ممالة، وأن الغرض منها التخلص من البدء بصامت غير متبوع بصائت (التخلص من البدء بحرف ساكن بالتعبير الشائع)، وإذا كانت اللغة العربية تتخلص من البدء بساكن عن طريق إضافة مقطع مفتوح قصير عبارة عن همزة يتبعها صائت؛ فإن اللغة العبرية تتخلص من البدء بالساكن عن طريق إضافة (الشوا) عقب الصامت في أول المقطع الصوتي [36].

وعلى هذا فهناك فروق بين القلقلة والشوا، من الجانبين الفوناتيكي والفونولوجي، يمكن إجمالها فيما يلي:

- أن الشوا صائت ليس له لون صوتي محدد في اللغات الأوربية، وتميل إلى الكسر في العبرية بصفة خاصة، في حين أن القلقلة، قد تكون لا لون لها، وإن كان المختار فيها عند جمهور علماء التجويد إمالتها إلى الفتح، كما أنها قد تمال إلى الكسر أو الضم، في بعض الأقوال.
- أن الشوا تأتي في بداية المقطع، في حين أن القلقلة تأتي في ختام المقطع الصوتي المقلقل.

– أن الشوا له وظيفة محددة هي التخلص من البدء بصامتين أول المقطع، تشبه وظيفة همزة الوصل في العربية. في حين أن للقلقلة وظائف عدة تتلخص في الحفاظ على صفات الصوت المقلقل وتسهيل نطقه في السلسلة الكلامية[37]، كما يبدو أن للقلقلة وظائف أخرى بلاغية، حيث تُسهم في تشكيل وتلوين الإيقاع الصوتي، خاصة حينما تأتي في خواتيم الآيات.

وما أميل إليه أن تكون الرواية الشفهية هي المعوَّل عليها في كل الأحوال، فمن استطاع أن يأتي بالقلقلة بلا لون في كل الأحوال فليفعل، فهو الأكثر دقة، ومن لم يستطع فالإمالة للفتح حينئذ أقرب للصواب. ونحن هاهنا لم نخالف الرواية المتواترة للقرآن الكريم، فكلا الأمرين جاءت بهما الرواية.

ثانيا: موضع القلقلة:

(المستقر عند السلف والخلف أن القلقلة حادثة لهذه الأصوات حال سكونهن في أي موقع تقع فيه، وبخاصة في الوقف، حيث القلقلة أبين وأمكن) [38]. والسؤال: هل تعتبر القلقلة جزءًا من الصوت المقلقل أم صويتًا مستقلا عنه ؟ وبعبارة أخرى: هل تصحب القلقلةُ الصوتَ الشديد في كل أحواله من حركة أو سكون ؟

وترجع أهمية الفصل في هذه المسألة إلى أنه سيترتب عليها اختلاف في وصف أصوات القلقلة الخمسة (قطب جد)، فصويت القلقلة إن كان جزءًا من تلك الأصوات، فهذا سيعني أنه يمثل حينئذ صفة أساسية مميزة وجزءًا لا يتجزأ من وصفها، مثلها مثل الجهر والهمس والشدة والرخاوة، وليس من الصفات المحسِّنة مثل الصفير والغنة والتفشي وغيرها. كما يمكن أن يترتب عليها اختلاف في وصف المقاطع الصوتية في اللغة العربية كذلك، فورود صويت القلقلة مستقلا بعد الصوت المقلقل يعني أننا (قد) نكون أمام مقاطع ذات قمتين، وهو نوع غير مألوف في اللغة العربية.

وقد تفاوتت عبارات مَن تناولوا هذه المسألة – قديما وحديثا – إلى حد التناقض في النص الواحد، ففي حين يصرح أكثرهم بأن القلقلة صويت زائد عن الصوت المقلقل، بما يعني أن القلقلة مستقلة [39] عن أصوات القلقلة الخمسة، إلا أنهم في الوقت ذاته يقررون أن القلقلة متممة للصوت الشديد، وذلك على اعتبار أن الصوت الشديد أو الانفجاري يمر بثلاث مراحل: حبس (وقف)، وإطلاق، وصوت يتبع الإطلاق [40].

قديما سمّى سيبويه حروف القلقلة بالحروف المشربة؛ أي التي يخالطها شيء ليس من بنيتها، وهو التحريك الخفيف أو الصُّويت) [41]. وقال السيرافي في شرح كتاب سيبويه: (كما أن القاف إذا وقف عليها كانت بعدها صويت هي القلقلة) [42]. ولا يزال قول سيبويه يردده السابق واللاحق، إما بنصه وإما بتصرف يسير في العبارة، فهذا ابن جني يقول: (واعلم أن في الحروف حروفا مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة وهي القاف والجيم والطاء والدال والباء لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت[43] وذلك لشدة الحفز والضغط وذلك نحو الحق واذهب واخلط واخرج وبعض العرب أشد تصويتا) [44]. ويقول العطار (المتوفى 569) (وقد تسمى أيضا مشربة ومضغوطة لأنه لا يمكن الوقف عليها إلا بصويت يلحقها لضغطها) [45].

وهذا المعنى أوضح ما يكون في العبارة التي نقلها صاحب (نهاية القول المفيد): (القلقلة صوت زائد حدث في المخرج، بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك الصوت، وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح المخرج بتصويت فحصل تحريك مخرج الحرف وتحريك صوته) [46].

إلا أن عددًا غير قليل من علماء التجويد والأصوات قديما وحديثا؛ يصرحون بأن القلقلة صفة ملازمة لهذه الأصوات الخمسة، سكنت أو تحركت، وأن هذه الأصوات تظهر فيها القلقلة أوضح حينما تكون ساكنة، أي عندما لا تكون متبوعة بصوت صائت، أما إذا تبعها صائت فإن القلقلة تكون ضعيفة لا تظهر، ولكنها موجودة، ونص ابن الجزري في كتابه النشر: (فذلك الصوت – يعني صوت القلقلة – في سكونهن أبين منه في حركتهن، وهو في الوقف أمكن) [47].

ويقول الشيخ الجريسي من علماء التجويد في القرن الماضي: (والحاصل أن القلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف الخمسة، لكنها في الموقوف عليه أقوى منها في الساكن الذي لم يوقف عليه؛ لأن تعريف القلقلة باجتماع الشدة والجهر كما في المرعشي يشير إلى أن حروف القلقلة لا تنفك عن القلقلة عند تحركها، وإن لم تكن القلقلة عند تحركها ظاهرة، كما أن حرفي الغنة وهما النون والميم لا يخلوان عن الغنة عند تحريكهما وإن لم تظهر) [48].

وحديثا يذهب جماعة من علماء الأصوات مذهب القدماء، منهم غانم قدوري الحمد في قوله (صوت القلقلة الذي يُسمع عند الوقف على حروف (قطب جد) صوت ناتج من انفتاح مخرج الصوت الشديد، وهو مكمل للصوت، لكنه يكون أكثر وضوحا في الوقف منه في درج الكلام) [49].

وممن يتبنى هذا الرأي كذلك من المحدثين محمود السعران، لأن الصوت الانفجاري لا يتأتى نطقه النطق الكامل دون أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المندفع. وهذا الصوت المستقل الذي يلي الانفجار ضرورة، إن نطق النطق الكامل، إما أنه مهموس وإما أنه مجهور. ويرى أن الصوت الانفجاري المهموس مثل الكاف يتبعه صوت مهموس قصير، وأما الانفجاري المجهور مثل الباء فيتبعه صوت صائت قصير، وأنه حينما يكون الانفجاري المجهور متبوعا بصائت، كما في (با)، فإن هذا الصائت نفسه يتضمن الصوت المستقل الضروري [50].

وما نقلته عن هؤلاء العلماء قديما، وعبّر عنه بجلاء السعران؛ كلام في حاجة لتحرير وتحليل، فلا يستقيم أن تكون القلقلة جزءًا لا يتجزأ من الصوت الشديد ساكنًا أو متحركًا، وفي الوقت ذاته يوصف بأنه صوت زائد، فبينهما فارق كبير في وصف الصوت، كما أنه مما يترتب عليه معرفة علة القلقلة. وقد نصّ مرتين على أن ما يتبع الصوت الانفجاري (صوت مستقل)، ونعته في موضع آخر بأنه (صوت إضافي) يشبه الحركة، والأرجح عنده (أن هذا الصوت الإضافي صوت صائت مركزي ضعيف) [51].

ولست أجادل في أن ذلك الصوت المستقل أو الإضافي متمم لنطق الصوت الانفجاري ليخرج ظاهرًا مكتمل الصفات، ولكن ذلك إنما يكون حال سكونه فحسب، أما في حال إتْباعه بصائت فلا وجود للقلقلة، والقول بأن الصائت يتضمن ذلك الصوت المستقل الضروري سيؤدي بنا إلى القول بأن ذلك الصائت عبارة عن جزئين، أو أن ذلك الصائت سيكون منقوصا بالضرورة. والأسلم – وهو الواقع – أن ذلك الصائت يغني عن ذلك الصوت المستقل.

ويذهب بشر كذلك إلى أن القلقلة جزء متمم لنطق الصوت في حال السكون، يقول: (ومعلوم أن القلقلة هنا لا تعدو أن تكون تحريكا خفيفا لا يدخل في إطار (الصوت) بالمعنى الاصطلاحي الموسوم بالفتحة أو الكسرة أو الضمة، إنه في حقيقة الأمر مجرد إطلاق هواء (release) بعد الوقفة حادثة عن بداية النطق بالصوت الشديد (المجهور) ليحدث الانفجار، فيكتمل نطق هذا الصوت الشديد ويتحقق... والنطق به ساكنا دون قلقلة يفقده عنصر الانفجار، وهو جزء متمم لنطق الصوت، إذا كان لنا أن نأتي به كاملا لنميزه من الأصوات التي قد يشتبه بها) [52].

والجملة الأخيرة في كلام أستاذنا الكبير تؤدي إلى القول بأن وصف الصوت المقلقل يختلف حال السكون عنه في غيره، ولكنه يعود فيؤكد إنه جزء متمم لنطق الصوت، وهذا يستلزم أن تكون القلقلة ملازمة للأصوات الشديدة في كل حال من حركة أو سكون، وذلك في قوله عن القلقلة: (إنها عنصر أو مكوّن من مكونات نطق الأصوات التي حكم عليها بالقلقلة، وهي الأصوات الشديدة أي الوقفات الانفجارية، ذلك أن هذه الأصوات جميعا يبدأ نطقها بوقوف الهواء وقوفا تاما عند مخارجها، ولابد له من نفاذ ليتم نطق الصوت كاملا، هذا النفاذ يأتي عن طريق الانفجار السريع أو ما عبر عنه علماء العربية بالقلقلة، التي تعد بهذا الوصف جزءًا لا يتجزأ من عملية النطق بالأصوات الشديدة) [53].

وهو كلام كان يمكن قبوله دون مناقشة إن كانت القلقلة جزءًا من تلك الأصوات في كل حال من حركة أو سكون، أمَا وأنها لا تأتي معها إلا في حال السكون وتغيب حال الحركة، فافتراض أن القلقلة جزء متمم لنطق الأصوات الخمسة أمر فيه نظر، وأيسر نتائجه أننا لا ننطق تلك الأصوات صوابًا حال الحركة، حيث تغني الصوائت عن القلقلة حينئذ، فهل يمكننا أن نعتبر تلك الصوائت من تمام نطق الأصوات الشديدة ؟! يصعب القبول بذلك، (فليس صحيحًا أن نطق الصوت المقلقل ساكنًا دون قلقلة يفقده عنصر الانفجار؛ لأن الانفجار كائن على كل حال في نطق الأصوات الشديدة كلها، سواء أكانت مقلقلة أم غير مقلقلة) [54].

وما أراه بعد استعراض ما قيل في هذا الموضوع، أن القلقلة ليست جزءًا من الصوت الشديد، ولكنها صويت زائد مستقل عن صوت القلقلة، وأن إطلاق الهواء بعد حبسه في أثناء نطق الصوت لا يعد قلقلة، وإنما القلقلة صويت يُتكلَّف مع إطلاق هذا الهواء بغرض إظهار الانفجار. (إن آخر مرحلة من إنتاج الصوت الشديد موجودة في

الأصوات الشديدة كلها مقلقلة وغير مقلقلة، بل إنها تكون في الصوت الواحد عندما ننطقه مقلقلا وغير مقلقل) [55]. إن الناطق يستطيع أن يميز بين الانفجار الناتج من نطق القاف الساكنة وغيرها من أصوات القلقلة، وبين نطقها مُقلقلة. علمًا بأن تعبير (زائد) وتعبير (التكلُّف) فيما يخص القلقلة ليس من عندي، فقد ورد ذكره عند القدماء تصريحا أو تلميحا [56].

وإذا ما وضعنا في الاعتبار وصف جمهرة القدماء والمحدثين للقلقلة بالصويت، وما تقرر حديثا من أن القلقلة عبارة عن صويت مركزي شديد القصر يشبه (الشوا)، وجدنا أن الرأي القصد في هذه المسألة هو ما سبق، من أن القلقلة ليست جزءًا من تكوين أصوات القلقلة، ولكنها لا تُعدّ صائتا كاملا، ولا تُعتبر فونيمًا بحد ذاته، فالقلقلة على هذا نوع من الفونيمات فوق القِطعية، تلازم الصوت المقلقل حال سكونه؛ لإحكام نطقه وتمييزه عن غيره، مثلها في ذلك مثل التفشي والغنة والسكت وغيرها من الظواهر الصوتية التي تصاحب بعض الأصوات بغرض بيانها، ولكنها ليست جزءًا من تكوينها.

أما في حال حركته بتعبير القدماء (أي أن يتلوه صائت قصير أو طويل باصطلاح المحدَثين) فلا حاجة حينئذ إلى ذلك الصويت أو الفونيم فوق القِطعي، ولا حاجة بنا إلى أن نفترض أنه موجود ولكنه خافٍ غير ظاهر، فهو في حكم العدم ولا وظيفة له ليؤديها في حالة الحركة أصلا، وهذا ما لمحه ابن جني بقوله (وجميع هذه الحروف [57] التي تسمع معها في الوقف صوتا، متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت، لأن أخذك في صوت آخر، وحرف سوى الأول، يشغلك عن إتباع الحرف الأول) [58]. وهو أمر منطقي عبّر عنه إسماعيل عمايرة بقوله: (ويلاحظ أن الصوت المقلقل لا يُمنح هذه الحركة الاختلاسية إلا أن يكون ساكنا، لأنه لو تحرك لكانت الحركة الكاملة – ضما كانت أم فتحا أم كسرا – أوفى بأداء المطلوب من الحركة الخفيفة أو (مشروع الحركة)) [59].

ومن هذه الأدلة كذلك، ما يُلاحظ في القرآن الكريم من تعاقب القلقلة في أواخر آيات متتالية، وما يحدثه من إيقاع صوتي وتناغم في الفواصل القرآنية، ويبدو في بعض السياقات أن القلقلة مقصودة لذاتها حينما تتنوع أصوات القلقلة في آيات متتالية، في مثل الآية الرابعة من سورة (ص) وما بعدها، فنجد تتابعا في أواخر الآيات بين أصوات الباء والدال والقاف والطاء، لتنتهي تلك الآيات المتتابعة بصوت القلقلة، بصرف النظر عن نوع الصوت المقلقل. ولو لم يكن صوت القلقلة مستقلا ما ساغ مجيئه كفاصلة مؤثرة في الإيقاع الصوتي، مع اختلاف الأصوات المقلقلة.

ومع ما نقلناه عنه آنفًا، يذهب إستيتية إلى أن القلقلة ليست مستقلة عن نطق الأصوات المقلقلة، وأن نطق الصوت المقلقل يتكون من نشاطين متزامنين، أحدهما في الحنجرة والآخر في موضع نطق الصوت، وأن هذا ما يميز أصوات القلقلة عن مثيلاتها من الأصوات الشديدة [60].

وهذا القول يحتاج لتفصيل، فإن إطلاق الهواء أو التردد من الحنجرة في ذات توقيت إطلاق حبس الهواء في موضع نطق الصوت، هذا التزامن لا ينفي استقلالية صويت القلقلة، فاستقلالية القلقلة تعني أنه أمر زائد عن مجرد الانفجار، وهو صويت ينتمي لطائفة الصوائت، فلا يمكن أن يكون جزءًا من تكوين كل من القاف والطاء المهموستين مثلا.

وأخيرا، فهناك الدليل التجريبي على استقلال أصوات القلقلة، فقد (كشفت معطيات الدراسات التحليلية على نماذج لمجيدي القراءات القرآنية في مصر؛ أن صوت القلقلة يتكون فيزيائيا من:

1- مجموعة من الحزم الذبذبية، تمثل المكونات الذبذبية لأصوات الحركات، لا يقل عددها عن ثلاثة.
2- ذبذبات كثيرة العدد، وعالية القيمة، تستغرق جميع زمن الصوت، وتوجد على المستوى الذبذبي من 85 ذ/ث إلى 6000 ذ/ث.

وهاتان الخاصيتان هما اللتان تشخصان صوت الحركة (الصائت) من الصامت الذي لا يشتمل على مكونات ذبذبية على شكل حزم) [61].

كما أن لدينا تجربة أخرى تشير إلى أن صويت القلقلة ليس جزءا من الصوت المقلقل، وذلك ما يتضح من صور تحليل أصوات القلقلة، التي أوردها الباحث (أحمد راغب) في معرض حديثه عن مراتب القلقلة، وسأنقل منه هاهنا نموذجين فحسب [62]:

أولهما رسم طيفي لكلمة (الحق)، حيث تظهر السكتة الوقفية التي ينحبس فيها الهواء لنطق الصامت الشديد المهموس المتمثل في القاف المشددة (q في الشكل)، يتبعه صائت ظاهر الجهر في أقصى

اليمين (k_1 في الشكل)، ولسنا في حاجة لبيان أن ذلك الصائت المختلس المجهور ليس من جنس صامت القاف المهموس.

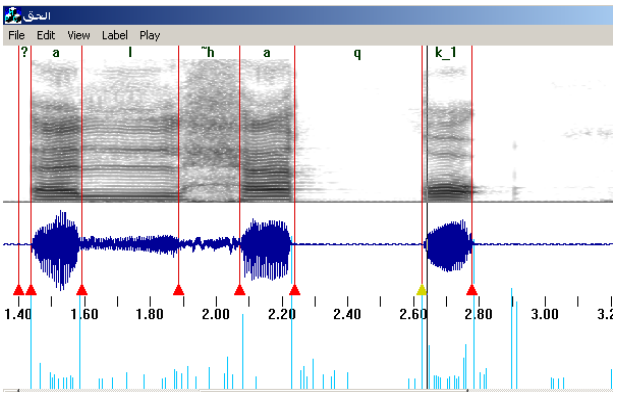

النموذج الثاني رسم طيفي لكلمة (هاد)، حيث تظهر السكتة الوقفية التي ينحبس فيها الهواء لنطق الصامت الشديد المجهور المتمثل في الدال (d في الشكل)، يتبعه صائت ظاهر الجهر في أقصى اليمين (k_1 في الشكل)، وظاهر أن القلقلة تتلو السكتة الوقفية التي تنتهي بالانفجار اللازم لنطق الدال.

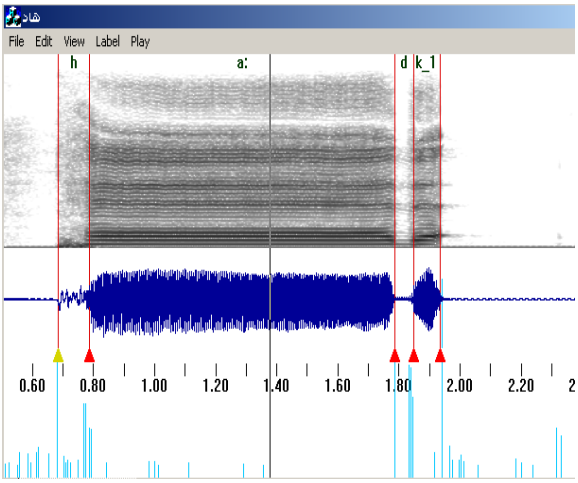

ومن يرى أن القلقلة هاهنا هي من تمام نطق الصوت لأنها تعقب السكتة الوقفية قبل الصوت الشديد، فالأقرب للمنطق أن نقول إنه لا يوجد قلقلة من الأساس في هذه الأصوات، ما دامت القلقلة تمثل جزءًا لا يتجزأ من نطق الصوت، ولْنقل عند وصف نطق الأصوات الشديدة أنها تتكون من حبس للهواء — كل صوت حسب مخرجه — يعقبه انفجار بصائت مركزي قصير. ومن شأن مثل هذا الوصف أن يجعل كل الصوامت الشديدة أصواتًا مركبة، وهو ما لا يقول به أحد.

وإنما اخترت هذين النموذجين لصوتين مقلقلين في حال الوقف، لظهور القلقلة في الوقف أكثر من القلقلة حال الحركة، وهذا أمر متفق عليه قديما وحديثا.

ثالثا: علة القلقلة:

في بحث تجريبي، يضع سمير إستيتية أيدينا على فوائد صوتية (فوناتيكية) للقلقلة، فالقلقلة (توفر قدرا كبيرا من زمن تردد الأصوات المقلقلة فيما لو نُطقت غير مقلقلة، وتوفر قدرا كبيرا من الطاقة الصوتية، وطاقة الصوت، ويصبح توزع الطاقة الصوتية والضغط في القناة الصوتية متناسقا عند نطق هذه الأصوات مقلقلة) [63].

ولكن يبقى السؤال: لماذا هذه الأصوات الخمسة بالذات دون غيرها ؟ وما هي العلة المشتركة بينها ؟

المتفق عليه قديما وحديثا أن القلقلة هدفها إظهار وبيان تلك الأصوات الخمسة عما سواها، حينما تأتي ساكنة، ولكن المختلف حوله هو ما الذي تظهره القلقلة بالضبط، أهو الجهر أم الشدة أم الاثنين معًا ؟

ما يكاد أن يكون متفقا عليه بين العلماء قديما هو أن القلقلة لا تكون إلا باجتماع صفتي الشدة والجهر في الصوت، فمن علماء التجويد أبو شامة (توفي 665 هـ)، الذي يقول بعبارة غاية في الوضوح في شرحه للشاطبية المسمى (إبراز المعاني) (وإنما حصل لها ذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة فالجهر يمنع النفس أن يجري معها والشدة تمنع أن يجري صوتها فلما اجتمع لها هذان الوصفان وهو امتناع جرى النفس معها وامتناع جرى صوتها احتاجت إلى التكلف في بيانها فلذلك يحصل من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة حتى تكاد تخرج إلى شبه تحركها لقصد بيانها، إذ لولا ذلك لم يتبين؛ لأنه إذا امتنع النفس والصوت تعذّر بيانها ما لم يتكلف بإظهار أمرها على الوجه المذكور) [64].

وبصرف النظر عن اختلاف الاصطلاحات في النص السابق، الذي أدى إلى القول بأن الجهر يمنع جريان النفس، مع أن اهتزاز الأوتار الصوتية لا شأن له بذلك، فقول أبي شامة رحمه الله ظاهر في التعبير عن سبب القلقلة، وأنه باجتماع صفتي الشدة والجهر، ولا نكاد نعثر على من يخالف هذا القول قديما.

وكلام ابن شامة لا يخرج عما قاله من قبلُ سيبويه وابن جني وغيرهما من علماء الأصوات، يقول ابن جني: (واعلم أن في الحروف حروفا

مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحق واذهب واخلط واخرج، وبعض العرب أشد تصويتا.

ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلا أنها لم تضغط ضغط الأول، وهي: الزاي، والظاء، والذال، والضاد، وبعض العرب أشد تصويتا.

فأما حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نفس، وليس من صوت الصدر، وإنما يخرج منسلا، وليس كنفخ الزاي، والظاء والذال والضاد والراء شبيهة بالضاد.

ومن الحروف ما لا تسمع بعده شيئا مما ذكرناه، لأنه لم يضغط، ولم يجد منفذا، وهي: الهمزة، والعين، والغين، واللام، والنون، والميم، وجميع هذه الحروف التي تسمع معها في الوقف صوتا، متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت، لأن أخذك في صوت آخر، وحرف سوى الأول، يشغلك عن إتباع الحرف الأول) [65].

وكلام ابن جني في ذلك الموضع يشير إلى تخصيص تلك الأصوات بالقلقلة دون باقي الأصوات، ويدل على أن العلة في القلقلة عنده اجتماع الجهر والشدة، ويرى أن لكل صوت طريقته في الظهور والبيان، وأن القلقلة هي سبيل هذه الأصوات الخمسة تحديدًا للظهور والبيان.

ولا نكاد نرى من علماء التجويد قديما أو حديثا مَن يخرج عن هذا الرأي، يقول محمد مكي الجريسي (المتوفى حوالي عام 1322هـ/1902م): (ويُشترط عند الجمهور في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونه قويا جهريا، بسبب أنه حاصل بفكّ المخرج دفعة بعد لصقه لصقًا محكما)[66]. ولا يخفى أن هذه حال الأصوات الشديدة.

وما ذكره علماؤنا المتقدمون حول علة قلقلة هذه الأصوات الخمسة؛ صار محلا للنقاش حديثا، بين متفق مع ما ذكره القدماء وبين قائل أن السبب في القلقلة هي الشدة فقط دون الجهر، خاصة بعدما تبيّن لنا أن صوتي القاف والطاء اللذين ننطق بهما الآن ليسا مجهورين في قراءة القرآن الكريم، بل هما صوتان مهموسان، ومع هذا يقلقلان، كما أن صوت الضاد التي ننطق بها الآن شديد مجهور، بينما كان الصوت مهموسا في النطق القديم، وهو غير مقلقل. وفيما يخص صفة الشدة، فإن وصف صوت الجيم بالشدة مطلقا أمر فيه نظر، فالصوت —كما يوضحه التحليل الصوتي — صوت مركب يبدأ شديدا (انفجاريا) ثم ما يلبث أن يتحول إلى صوت رخو (احتكاكي).

وما يستفاد من حديث إبراهيم أنيس أنه يوافق رأي القدماء في شرطي القلقلة، والقلقلة عنده ليست إلا مبالغة في الجهر بالصوت، (فالصوت الشديد المجهور مال دائما إلى أن يصبح مهموسًا، ولا سيما إذا كان مشكلا بالسكون — متطرفًا أو في وسط الكلمة — وقد جاوره صوت مهموس، ولهذا أطالوا الأصوات الشديدة المجهورة ليظهروا جهرها، ويحولوا بينها وبين أن تصبح مهموسة) [67].

وقد ناقش د. الضالع مسألة اختصاص هذه الأصوات الخمسة بالقلقلة، وقال: (فإن قيل إن سبب ذلك هو تخفيف توتر الصامت الانفجاري فقد كان الأولى أن تتم القلقلة في الصوامت الانفجارية المهموسة لأنهن أكثر شدة وتوترا في العضلات في أثناء نطقهن. ويذهب إلى أن القلقلة تؤدي وظيفتين هما: **المحافظة والتسهيل**، فهي تيسر النطق، وتحافظ على جهر الأصوات المجهورة، وهمس الأصوات المهموسة، فالقلقلة صائت مجهور وسيُبقي بالتالي على جهر تلك الأصوات عند سكونها، والقلقلة في الوقت نفسه مطلوبة في تسهيل عملية التلفظ الصوتي. أما بالنسبة لنظيرها المهموس الانفجاري (الكاف والتاء) فنطق هذا الصوت المختلس سوف يعمل على إجهارهن ومن ثم تتغير صفتهن مما قد يسبب في تطور صوتي غير مطلوب يحدث على مر الزمن)[68].

فهو يرى أن علة القلقلة هي اجتماع الشدة والجهر، كما ذكر أكثر القدماء.

أيضا فمحمود السعران يرى هذا الرأي، ويضيف بأن نحاة العربية ذكروا أن حروف القلقلة تكون غير واضحة عندما لا تُنطق النطق الكامل، وأن الذي يحدث في مثل هذه الحالة هو (تقليل جهر) الانفجارية، حتى إن هذه الصوامت تصبح انفجارية ضعيفة الهمس أو أصواتا قذفية ضعيفة [69].

وغانم قدوري الحمد نقل هذا الرأي عن علماء السلف دون أن يعقب عليه، ودعا المتخصصين بالتجويد النظر في قلقلة الضاد الحديثة، بما يعني بتسليمه بما ذكره القدماء في شروط القلقلة [70].

وفي المقابل، فإن كمال بشر رحمه الله يرى أن الشدة فقط في تلك الأصوات هي علة القلقلة، وكان قد تبنى في بداية الأمر القول بأن علة القلقلة تكمن في الشدة والجهر معًا، وذكره في الإصدارات الأولى من كتابه (علم الأصوات)، واستشهد د. الضالع برأيه الذي قال فيه: (أما وجوب إتباع هذه الحروف بصويت أو بحركة خفيفة عندما تكون ساكنة فمرجعه إلى أن إتباع في هذا النطق تحقيقا كاملا لخواص هذه الحروف، أي تحقيقا للانفجار والجهر، فعدم وجود هذا الصويت ينشأ عنه تقليل صفتي الانفجار والجهر معًا) [71].

ولكن بشر عاد عن رأيه ذاك قائلا: (فنحن بعد نظر متأن ومراجعة لموضوع القلقلة مرة ومرات، استقر رأينا على أن صفة الجهر للأصوات الشديدة التي تقلقل ليست ضرورية، ولا ينبغي اشتراطها بحال لقلقلة الصوت الشديد. فالقلقلة لا تعدو أن تكون تحريكا بصويت أو نبرة أو حفزا للصوت إكمالا لنطقه بتمامه، فالشدة تعني الوقفة في دقيق معناها، أي وقوف الهواء الذي يحتاج إلى النفاذ لإتمام النطق بالصوت، وتمامه بالانفجار الذي عبروا عنه بالقلقلة أو النبرة أو الحفز والضغط) [72].

وإذا كانوا قديما يفرقون في الأصوات الشديدة المجهورة بين أصوات القلقلة وغيرها – كما مرّ في نص ابن جني السابق – يرى بشر أن بيان كل الأصوات الشديدة لا يكون إلا عن طريق القلقلة، وذلك في قوله: (وهذا الذي نقول ينطبق على كل الأصوات الشديدة مجهورها ومهموسها على سواء؛ لأن المهموسة الشديدة في حاجة إلى نبرة أو تحريك خفيف (القلقلة) لإكمال نطقها، شأنها في ذلك شأن الشديدة المجهورة بلا أدنى فرق) [73].

ولتفسير عملية القلقلة، يفرّق سعد مصلوح بين الاحتباس والانفجار، فيكون الصامت احتباسيا حينما يتوقف الهواء في الفم عند نقطة التقاء العضوين الناطقين (أي عند المخرج) ثم يعقب ذلك تسريح الهواء مع انفصال العضوين الناطقين. وقد يضاف إلى الاحتباس انفجار فموي إذا تم عزل تجاويف الأنف عزلا تاما عن تجويف الفم، ويتبع الاحتباس تسريح سريع وفوري. (وقد يتسبب الجوار الصوتي – حين يتبع الاحتباس صوت أنفي – في أن يتم الانفجار لا بانفصال العضوين الناطقين، بل بانفصال الحنك اللين عن الجدار الخلفي للبلعوم (أي بانفتاح البرزخ الأنفي)، وحينئذ يكون انفجارا أنفيا.

ويترتب على هذا النطق عادة خلو الانفجار الأنفي من عنصر الجهر، ومن ثم نلمس في التجويد القرآني حرصا على قلقلة الصوت الاحتباسي بإضافة حركة مركزية قصيرة، حتى يظل الانفجار فمويا وليس أنفيا، ويحتفظ الصوت الأنفي بنغمة الحنجرة مكونا أساسيا من مكوناته) [74].

في حين يرى إستيتية أن كلا الأمرين – الشدة والجهر – لا يصلحان كعلة للقلقلة، (فليس صحيحًا أن نطق الصوت المقلقل ساكنًا دون قلقلة يفقده عنصر الانفجار؛ لأن الانفجار كائن على كل حال في نطق الأصوات الشديدة كلها، سواء أكانت مقلقلة أم غير مقلقلة) [75]، ومن ناحية أخرى فهو يؤكد أن (الجهر ليس شرطا في إنتاج (الحنجوريات الضغطية)، فيمكن أن تكون مجهورة كما يمكن أن تكون مهموسة) [76].

وعلة القلقلة تتمثل عنده في كيفية نطقها، حيث يمر الصوت المقلقل بأربع عمليات صوتية متعاقبة، وهذه العمليات الأربعة المنتجة للقلقلة هي: الإغلاق التام لفتحة المزمار، خفوق الحنجرة في حركة سريعة للأعلى، إحداث ضغطين متزامنين متلازمين في الحنجرة والمخرج، ثم تحرير الضغط الموجود في الحنجرة، فيخرج الهواء متوترا من الحنجرة إلى موضع نطق الصوت [77].

فالعامل المشترك في أصوات القلقلة الخمسة هو طريقة إنتاجها، الذي يجعلها تنتمي لمجموعة (الحنجوريات الضغطية)، وأهم ملامح هذه المجموعة أنه يوجد في أثناء نطقها ضغطان متزامنان متلازمان، أحدهما في منطقة الحنجرة، والآخر في موضع نطق الصوت. فهي كلها أصوات شديدة بالضرورة، ولكنها مختلفة عن باقي الأصوات الشديدة التي لا يوجد معها ذلك الضغط المزدوج.

وهذا الاتجاه في تعليل القلقلة – مع تسليمنا بصحته إجمالا – أبان لنا عن طريقة نطق الأصوات المقلقلة من الناحية العضوية، ولكنه لم يفسر لنا علة اختصاص هذه الأصوات الخمسة بالذات بهذه العملية، ذلك أن القلقلة يمكن – نظريا – إضافتها لأصوات أخرى عديدة غير الخمسة المعروفة، وستحقق نوعا من السهولة والتيسير في نطقها في بعض السياقات، مثلها في ذلك مثل أصوات القلقلة الخمسة، وذلك كالضاد والظاء في قوله تعالى (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ

لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ **غَلِيظٍ** (50) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ **عَرِيضٍ** (51)) [سورة فصلت 50-51]، ومثل صوت الفاء في قوله تعالى (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) [سورة البقرة 68/2]، ولكن هذه العملية ستؤدي إلى نتيجة مخالفة لغرض المحافظة الذي تقوم به القلقلة، فقد تؤدي إلى تغيّر صوتي غير مطلوب يحدث على مر الزمن. وذلك على حد تعبير الضالع [78].

إن حصر علة القلقلة في كون هذه الأصوات الخمسة من (الحنجوريات الضغطية) وفق اصطلاح إستيتية لا يكفي من وجهة نظري، فلم يفسر لنا عدم قلقلة الكاف أو التاء أو الهمزة، وهي أصوات شديدة كذلك، ولم يفسر لنا تحذير أهل التجويد من الميل إلى قلقلة أصوات بعينها عند قراءة القرآن، كصوت الفاء مثلا. فنحن نحتاج لإثبات ذلك أن نحلل جميع الأصوات القابلة للقلقلة في اللغة العربية، ونقيس في أثناء ذلك ما تحدثه القلقلة من أثر؛ حينئذ فقط يمكن أن نقول إن القلقلة تؤثر في هذه الأصوات الخمسة تأثيرا مختلفًا عن تأثيرها في باقي الأصوات.

أيضا فلا يخفى التناقض بين كون أصوات القلقلة (حنجورية ضغطية) في كل أحوالها، وبين كون القاف والطاء المقلقلتين مهموستين، فعنده أنه لا يشترط أن تكون أصوات القلقلة الخمسة ساكنة حتى تكون حنجرية ضغطية، وإن كانت وهي ساكنة تكشف للسامع العادي عن طابعها ذي السمت الحنجوري أكثر مما تكشف عنه وهي متحركة، والفارق يتمثل فقط في درجة توتر عمود الهواء الذي تؤدي زيادته إلى وضوح القلقلة [79]. فالمتفق عليه أن القلقلة من الصوائت، فكيف تكمن في القاف والطاء المهموستين ؟

والمنطق يقتضي أن يكتمل نطق القاف والطاء كصوتين انفجاريين مهموسين، سواء لحقتهما القلقلة أو لم تلحقهما، وأن القلقلة أمر زائد عن قدر الانفجار، حتى وإن كان متزامنًا معه. ولذلك فإن تعليل إسماعيل عمايرة للقلقلة يعدّ أقرب للاتساق مع المعطيات الصوتية المتفق عليها، فهو يرى أن الصوت المقلقل ينبغي أن يتمتع بملمحين، هما:

1) صفة الشدة (الانفجارية) الناجمة عن انحباس الهواء في مجرى التنفس، نتيجة التقاء العضوين اللذين يمثلان مخرج الصوت.

2) والكيفية التي يندفع بها الهواء بعد انحباسه، كتحريك الصوت الانفجاري بحركة ما، أو قلقلته بما يشبه الحركة، أو إكسابه قدرًا من الهمس، إذ بدون ذلك يتعرض الصوت للخفاء.

وهو يرى – بناء على هذا الرأي – أنه ينبغي قلقلة كل من الهمزة المحققة والضاد [80]. وهو أمر فيه نظر.

وعلى الرغم من تقارب المذهبين في علة القلقلة، ووجود شواهد وأدلة تدعم كل رأي منهما، فما أراه صوابا من بين تلك الآراء، هو ما انتهى إليه كمال بشر ، وقريب منه ما انتهى إليه إسماعيل عمايرة؛ أن الشِّدة (الانفجار) هي العلة في قلقلة هذه الأصوات، ولكنني أخالفهما في أن بعض أو باقي الأصوات الشديدة تحتاج إلى القلقلة في تلاوة القرآن الكريم.

والتدليل على هذا الرأي يسير، حيث إنّ همس القاف والطاء الحاليين أمر محسوم، مع بقاء قلقلتهما لبيان نطقهما؛ يعني منطقيًّا أن الجهر ليس شرطا في مجيء القلقلة، ولاحظ أن هذين الصوتين يأتيان في أول درجات القلقلة [81]. وهذا الرأي ظاهر مع القول بأن القاف والطاء كانتا مهموستين قديما وحديثا، كما أنه يتفق كذلك مع القول الآخر بأنهما كانتا مجهورتين قديما ثم تحوّل جهرهما إلى الهمس، فثبات القلقلة فيهما على كل حال، واحتياج الصوتين إليهما في سكونهما للبيان وسهولة النطق دليل أن جهر الصوت ليس من شروط القلقلة.

كما أن المتأمل في المسألة يجد أن الأولَى بالظهور والبروز هو الصوت المهموس لا المجهور، ومن المعلوم أن نطق الأصوات المهموسة يتطلب جهدا عضويا عند نطقها أكثر من الأصوات المجهورة [82]. فمثلا صوت التاء في كلمة (نَتْلُوهُ) [سورة آل عمران 58/3]، والكاف في (تَكْفُرُون) والشين في (تَشْهَدُون) [سور آل عمران 70/3]، والتاء في (كذبتْ عادٌ) [سورة القمر 18/54]، كلها يمكن قلقلتها تكلّفًا، كما يخطئ فيها المبتدئون في تعلُّم التجويد. ويمكن المجيء بأمثلة لا تُحصى لكل صوت من الأصوات المهموسة في القرآن – شديدة أو رخوة – يمكن قلقلتها، مما يدلك على عدم تعلق القلقلة بالجهر، وإنما تعلقها بالشدة.

إنني أتفق مع ما ذكره الضالع، من أن علة القلقلة تتلخص في كلمتين هما: **المحافظة والتسهيل**، وهي ذاتها خلاصة البحث التجريبي القيّم الذي قام به سمير إستيتية، فالقلقلة فعلا تحافظ على صفات هذه

الأصوات الخمسة المعروفة بأصوات القلقلة، حيث تحفظ لتلك الأصوات درجة وضوحها، وبخاصة في آخر مرحلة من مراحل نطقها، كما تسهل نطقها بخفض ملحوظ في زمن ترددها وطاقة نطقها وتؤدي لتناسق الضغط في القناة الصوتية [83]. مع الاختلاف مع الضالع في أنه يرى أن من وظائف القلقلة الحفاظ على جهر تلك الأصوات الخمسة، فالقاف والطاء غير مجهورتين، فكيف نأتي بالقلقلة للحفاظ على جهرهما؟

ولنستعرض أصوات القلقلة الخمسة في ضوء هذا الرأي، بأن القلقلة علتها الشدة (الانفجار) فقط، لنجد أن صوت القاف الساكن، لن يظهر للسامع أصلا دون قلقلة – ظاهرة أو ضعيفة – ولا نستطيع الإتيان به ساكنا إلا مع القلقلة، وهذا ما أشار إليه ابن الجزري في قوله: (وأصل هذه الحروف القاف، لأنه لا يقدر أن يؤتى به ساكنا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه) [84]. وحاول أن تنطق قوله تعالى (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) مع الوقف؛ فلن تستطيع أن تأتي بالقاف مكتملة دون قلقلة، أما في حال تحركه فلا إشكال، ولا حاجة إلى القلقلة.

وما ينطبق على القاف ينطبق كذلك على الطاء والباء، ففي مثل قوله تعالى (وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)، فالسامع لن يتعرف على الصوت الذي ختمت به الآية الكريمة، هل هو طاء أو تاء أو غير ذلك إلا إذا أظهرت القلقلة. وفي مثل قوله تعالى (أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) لن يتبين السامع صوت الباء إلا من خلال القلقلة. لعله يتوقعه أو يستنبطه من خلال معرفته وخبرته بالألفاظ العربية، ولكنه لو جنَّب هذه المعرفة السابقة جانبا فلن يتعرف حقيقة على اللفظ المسموع.

أما الجيم، فلكونها صوت مركب يبدأ بدال شديدة (انفجارية) وينتهي بشين رخوة (احتكاكية)، فإن عدم قلقلتها سيذهب بشدة الدال، ويصير الصوت رخوا فقط، أقرب ما يكون إلى الشين، تأمل ذلك في نطق قوله تعالى (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ). وقد أشار علماء التجويد إلى أن عدم ظهور الجيم يجعلها تشتبه بالشين، ومن ذلك قول علم الدين السخاوي: (والجيم حرف مجهور، فيجب أن يبين صوتها وأن يظهر جهرها، لئلا ينالها شيء من صوت الشين نحو (العجل بكفرهم)... وينعم بيان صوتها إذا كانت ساكنة عند التاء نحو (فاجتنبوه)... وعند الزاء نحو (الرجز)... وعند السين نحو (رجسا إلى رجسهم) وعند الهاء نحو (ولا تجهر)، وعند الشين في (أخرجَ شَطْأه) [85].

وعلى الرغم من أن عبارة السخاوي تربط اشتباه الجيم ببعض الأصوات بمسألة الجهر، فإن في الأمثلة التي ذكرها علم الدين السخاوي أحد الأدلة الإضافية على عدم ارتباط القلقلة بالجهر، فالعامل المشترك بين الأصوات المجاورة لصوت الجيم في تلك الأمثلة هو أنها ليست شديدة، فهي إما رخوة أو متوسطة أو تكرارية، باستثناء التاء في (فاجتنبوه)، وفيها الفاء الرخوة قبل الجيم، (وشدة التاء أقل من شدة غيرها، لما فيها من الهمس والترقيق) [86]. وصوت الجيم يكتنفه صوتان مجهوران في كلمتي (العجل)، و(الرجز)، بما يعني أنه لا يوجد احتمال لتأثر الجيم بصوت مهموس مجاور لها، ومع هذا فهناك إمكانية لعدم ظهور صوت الجيم كما ينبغي أن يُنطق. وفي (أخرج شطأه)، ومع أن الجيم غير مقلقلة لتحركها، إلا أن الشين الرخوة المهموسة بعدها قد تجتذب النهاية الرخوة في الجيم وتؤثر فيها. إذن فالظهور المطلوب الذي يُخشى ضياعه من الجيم في كل هذه الأمثلة هو الانفجار الذي في جزئها الأول المتمثل في الدال الشديدة، وليس الجهر في المقام الأول.

أما الدال فأمرها في القلقلة مشكل وفق الرأي القائل بأن علة القلقلة هي الشدة لا الجهر، فظاهر أن قلقلة الدال هي التي تميز بينها وبين التاء، وهما نظيران، فكلاهما صوت شديد، ولكن الدال مجهور والتاء مهموس، والدال الساكنة غير المقلقلة ستلتبس حتما لدى السامع بالتاء، لا سيما عند الوقف، ولك أن تجرب نطق قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) دون قلقلة لتدرك ذلك.

وبالتأمل في ذلك، وبالعودة إلى نص ابن جني السابق ذكره، سنجد أن اللغة أوجدت لكل صوت طريقًا في الظهور والتمام، والتميز عن غيره مما قد يشتبه به، فإذا كان كل من الدال والتاء صوتين شديدين، فإن الدال مجهورة والتاء مهموسة، فليكن سبيل الدال في الظهور هو القلقلة التي هي صائت قصير، وسبيل التاء في الظهور هو الهمس (السكت) الذي هو صوت مهموس قصير[87]. ولسنا في حاجة لبيان أن التاء مهموسة وصويت القلقلة مجهور، بما يعني أن قلقلة التاء الساكنة ستجعلها تشتبه بالدال بدل أن تتميز عنها. ولا ينبغي أن يغيب عنا أن التاء لها نظير مفخم مقلقل، هو صوت الطاء، مما يعني

من جهة أخرى أن قلقلة التاء قد تجعلها تشتبه بالطاء، لهذا كان الهمس أفضل وسيلة لظهور التاء عند سكونها.

وإذا كان كل من القاف والكاف شديدين مهموسين، وهما متقاربان، حيث يتجاور مخرجاهما جدا (الكاف طبقية والقاف لهوية)، فليكن سبيل القاف في الظهور القلقلة، وليكن سبيل الكاف في البيان الهمس، ولا سيما أن الانفجار في الكاف أضعف من القاف، كونها – مثلها مثل التاء – خالية من الجهر والتفخيم [88]، فهمسها أولى من قلقلتها حتى لا يكون هناك احتمال لتشابههما ساكنتين. وهذا دليل إضافي على ارتباط القلقلة بالشدة لا بالجهر.

قد يقول قائل إن هذه الأصوات (حثه شخص فسكت) كلها مهموسة يخرج باقي النفس فيها عن طريق ما يُعرف بالهمس أو السكت، والسكت نظير القلقلة فغرضه ظهور الصوت وبيانه، أوليس هذا دليلا على ارتباط القلقلة بالجهر ؟ أقول: نعم إن القلقلة تشبه السكت بوجه من الوجوه في الوظيفة، ولكن ليست كل أصوات القلقلة مجهورة، كما سبق، إلا إذا كنا سنرفض – بالعاطفة ودون دليل – كل معطيات علم الأصوات الحديث، التي تؤكد لنا أن القاف والطاء الحاليتين مهموستان، هذا يؤكد أن القلقلة لا علاقة لها بالجهر، وهو ما يدعم كذلك فكرة ارتباط ذلك الأمر بالشدة فقط.

وما أراه من خلال الملاحظة الذاتية في هذا الشأن، أن القلقلة أكثر مناسبة للأصوات الشديدة عند سكونها، وكل الأصوات الشديدة مقلقلة عدا التاء والكاف والهمزة والضاد الحديثة (الطائية)، وأن الهمس أكثر مناسبة للأصوات الرخوة حال سكونها، وكل الأصوات التي يدخلها الهمس رخوة عدا الكاف والتاء، وقد عرفت سبب همسهما والعدول عن قلقلتهما، فامتداد النفس مع تلك الأصوات الرخوة يلائمه الهمس حال السكون، والهمس إخراج لباقي النفس، وهذا ما عبّر عنه سيبويه بقوله: (وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخٍ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر؛ وإنما تنسل معه) [89]. في حين أن الأصوات الشديدة – باستثناء التاء والكاف – من العسير همسها بإخراج باقي النفس، وتجربة ذلك بمحاولة همس القاف الساكنة أو الطاء الساكنة توضح ذلك بجلاء، فالانفجار لا يتيح لناطق الصوت إخراج تتمة النفَس بعده بيسر، فلا يبقى إلا القلقلة – التي هي زيادة على الصوت كما بيّنّا – لتقوم بهذا الدور.

قد يقال: قد عرفنا لماذا نهمس الكاف والتاء، فلماذا لا نقلقل باقي الأصوات الشديدة: الهمزة والضاد الحديثة ؟

أما الهمزة، سابع الأصوات الشديدة عند القدماء، فلها في نطقها أحوال خاصة تجعل قلقلتها مدخلا للتعسير لا التيسير، وإنما (تتخلص العرب من شدتها بطرق مختلفة، منها: الحذف، مثل: (السَّمَا) بحذف الهمزة. أو الإبدال، مثل: (يُومِنُونَ) بإبدال الهمزة حرفَ مد مجانس لحركةِ ما قبلها. أو بالنقل، مثل: (مَنَ امَنَ) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها مع حذف الهمز. أو بالسكت، مثل: (مَنْ ءَامَنَ)، بالسكت على الساكن قبل الهمزة. أو الإدخال، مثل: (ءَ أَنتَ). أو بالتسهيل، مثل: (أَأَعْجَمِيٌّ)، بتسهيل الهمزة) [90]. وقال المقدسي في شرحه على الجزرية: إنما أخرجها الجمهور من حروف القلقلة لما يدخلها من التخفيف حال السكون، ففارقت أخواتها، ولما يعتريها من الإعلال) [91].

وأما الضاد الحديثة، التي انضمت إلى مجموعة الأصوات المجهورة الشديدة، نتيجة لفقدان الضاد العتيقة من النطق، فبإمكاننا أن نقلقلها في غير القرآن الكريم، أما في القرآن الكريم فتلاوته سنة متبعة، فلا تُقلقل الضاد في القرآن الكريم حتى وإن توافرت الأسباب التي تدعو إلى سلكه في باب أصوات القلقلة [92].

وبالإضافة إلى ارتباط عدم قلقلة الضاد بتواتر الرواية – وهو كافٍ – إلا أن هناك أسبابًا أخرى تدعو إلى عدم قلقلتها، أولها التباسها في حال قلقلتها بالدال نظيرها المرقق، حيث إن الدال مقلقلة كذلك.

أيضا فقد نظرت نظرة عجلى لمواضع ورود الضاد في القرآن الكريم، فخرجت اختصارا بما يلي:

- إجمالي ورود حرف الضاد في القرآن الكريم (1687)، دون احتساب المشدد.
- إجمالي المواضع التي أتت فيها الضاد ساكنة سكونًا أصليًّا، أو جاءت في آخر كلمة، بما يعني احتمال الوقوف عليها جميعًا بسكون عارض (797)

- يوجد (537) موضعًا، أي بنسبة (67.4%) من إجمالي ما يمكن قلقلته من الضاد في القرآن؛ لا يمكن قلقلة الضاد فيه إلا بصعوبة بالغة، خاصة عند الوقف، ومن ذلك مثلا لفظ (أرض والأرض) حيث وردا (449) مرة، ولفظ (بعض ولبعض وببعض) حيث وردت (85 مرة)، بالإضافة إلى ألفاظ أخرى وردت بأعداد قليلة. وإنما لا يتيسر قلقلة تلك المواضع ونحوها لتشكُّل مقطع زائد في الطول، والذي يتشكل من (صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت)، والذي تميل اللغة في مثله إلى إضافة القلقلة (الصائت المركزي القصير) بين الصامتين اللذين يغلقان المقطع، لا عقب الصامت الأخير [93]. بمعنى أن اللغة إن جنحت إلى التخلص من المقطع الطويل في مثل (أرض) و(بعض)، فإن ذلك يكون عن طريق إضافة صائت مركزي عقب الراء في (أرض) والعين في (بعض)، وليس عن طريق إضافته بعد الضاد الموقوف عليها.

فإذا ما قلنا بقلقلة الضاد، فإننا نفتح بابًا للتعسير لا التيسير، وإن قلنا باستثناء مثل تلك المواضع فإننا نفتح بابًا آخر لعدم اضطراد القاعدة، فهاهنا موضع يصلح قلقلة الضاد الساكنة فيه، وهاهنا موضع لا يصلح قلقلتها. وهذا على سبيل الحِجاج، أما السبب الواضح لعدم قلقلتها فهو تواتر الرواية بعدم قلقلتها.

ولذا، فلنا أن نتحفّظ كثيرا على دعوة بعض أساتذتنا إلى النظر في مسألة قلقلة الضاد وفق نطقها الحديث [94]، وما ذهب إليه إسماعيل عمايرة رحمه الله من إضافة الهمزة المحققة والضاد إلى الأصوات المقلقلة [95]، وما ذهب إليه كمال بشر من ضرورة إخضاع الأصوات التالية كلها لعملية القلقلة: الهمزة – القاف – الكاف – الجيم – الطاء – الضاد – الدال – التاء – الباء وهي المجموعة في قولهم (أجدك طبقت)، وهو مجموع الأصوات الشديدة عند القدماء [96]، بالإضافة إلى الضاد بنطقها الحالي، واعتبار أن قلقلتها من تمام نطق هذه الأصوات جميعا [97].

وما أراه هو أن البحث عن علة قلقلة الأحرف الخمسة (قطب جد) أمر علمي محمود، أما انسحاب ذلك إلى اقتراح قلقلة أصوات جديدة، أو الدعوة إلى سحب صفة القلقلة عن أصوات أخرى؛ فهو وضع الاجتهاد موضع الحقيقة، ثم ترتيب نتائج على ذلك، وهو لا يصح. إننا نقلقل هذه الأصوات الخمسة لأنها وصلتنا هكذا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم جيلا بعد جيل، فالقراءة سنة متبعة، لا يجوز الزيادة فيها ولا النقصان منها، حتى ولو ثبت تغيُّر بعض صفات هذه الأحرف.

إن رأي أساتذتنا القائل بأن السبب في قلقلة هذه الأصوات بالذات مرتبط بصفة الشدة فقط، وأن الصوت المثالي لا يتم إلا إذا ظهر صُويت القلقلة في حال السكون (يعني في حال لم يكن الصوت متبوعا بحركة أخرى)، وأن هذه العملية لا دخل للجهر بها؛ هذا رأي له وجاهته، والشواهد تؤيده، ولا بأس به في نطاق البحث. ولكن مهما اجتهدنا في البحث وتعددت الآراء، فإن ذلك لن يغير من حقيقة أن أصوات القلقلة خمسة فقط، هي المجموعة في قولهم (قطب جد)، لن تزيد ولن تنقص !

وما ذكرته مجرد اجتهاد، قد يصيب وقد يخطئ، وهي محاولة لاستكشاف طريقة عمل اللغة على مستوى الأصوات، واستكناه الحكمة وراء بعض طرق الأداء والتجويد في القرآن الكريم. والله تعالى أعلم.

هوامش البحث:

[1] وقد ورد لها أسماء أخر، منها: اللقلقة، والمضغوطة والمحقورة. انظر: الهدهد، حمدي صلاح، "مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث"، ط1، (القاهرة، دار البصائر 1429هـ/ 2008 م) 2/582-583

[2] من إحصاء قام به الباحث كاتب هذه السطور، وهذا العدد يحتوي على مواضع السكون الأصلي كاملة، إضافة إلى مواضع السكون العارض باعتبار الوقف على رءوس الآيات فقط؛ وذلك لاختلاف القلقلة بالسكون العارض وسط الآيات من قارئ لآخر.

[3] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (المتوفى: 711هـ)، "لسان العرب"، ط3، (بيروت، دار صادر 1414هـ) مادة (قلل) 11/367

[4] الهدهد، حمدي صلاح، "مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث" 2/598

[5] الشايجي، عمر خليفة، "المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد"، ط1، (غراس للنشر والتوزيع 1431هـ/ 2010م) ص 204-205

[6] انظر: الحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"، ط2، (عمان، دار عمار 1428هـ/ 2007م)ص 260، وعرباوي، فرغلي سيد، "حروف القلقلة بين القدامى والمحدثين"، ط1 (القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ، 1428هـ/ 2007م) ص 77، وابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، "النشر في القراءات العشر"، تحقيق علي محمد الضباع، ط1، (دار المغني للنشر والتوزيع 1422هـ /2001م)1/203، والمبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (المتوفى: 285هـ)، "المقتضب"، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، (بيروت، عالم الكتب) 1/196، وبشر، كمال، "علم الأصوات"، (القاهرة، دار غريب 2000م) ص 390-391

[7] انظر: عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة"، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي1417هـ/1997م) 54-55، والبهنساوي، حسام، "دراسات في علم الأصوات"، (القاهرة: 1999م) 109-104، والفراهيدي، الخليل بن أحمد (المتوفى170هـ)، "كتاب العين"، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (بيروت1400هـ/1980م) 65/1، وسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى: 180هـ)، "الكتاب"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي 1408هـ / 1988م) 405/2، 206

[8] انظر: شاهين، عبد الصبور، "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي"، ط1، (القاهرة، مكتبة الخانجي 1408هـ/1987م) ص 230، وبالتفصيل في: بشر،كمال، "علم الأصوات" ص 286-276

[9] راجع: الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 296-298، وعمر، أحمد مختار، "دراسة الصوت اللغوي"، (القاهرة، عالم الكتب 1418هـ/1997م) ص 341-344، وبتفصيل وتحقيق دقيق في: الحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص 212-219، وهناك من يرى أن القاف في تلاوة القرآن الكريم مجهورة قديما وحديثا، ولكن دون أن يفسر ما أظهرته آلات التحليل الحديثة من أن القاف مهموسة عند مجيدي تلاوة القرآن الكريم. انظر: أركيبي، عزيز، "مخارج الحروف عند القراء واللسانيين دراسة مقارنة"، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية 1433هـ/2012م) ص 188-192، ومنهم من يرى أنها كانت مجهورة بالفعل وتشبه في جرسها القاف الريفية البدوية، وفي نطق القرآن بها نظر، حيث إن التلاوة بالتلقي والمشافهة وليس بتقليد وصف القدماء له. انظر: جبل، محمد حسن، "المختصر في أصوات اللغة العربية"، ط6، (القاهرة، مكتبة الآداب 1431هـ/2010م) ص 94-95

[10] انظر وصفه في عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة " 47.46، 61؛ والبهنساوي، حسام، "دراسات في علم الأصوات" 66-67، 97-101

[11] سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب"436/4

[12] انظر: عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة " 77.75، وشاهين، عبد الصبور، "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي" ص 209، 228

[13] جبل، محمد حسن، "المختصر في أصوات اللغة العربية" ص 124-125

[14] عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة " 78.77، وأركيبي، عزيز، "مخارج الحروف عند القراء واللسانيين دراسة مقارنة" ص 200-202 وفيه دفاع لرأي القدماء دون دليل أو تعليل لكونها المقابل المطبق للدال، ولا لكون التاء هي المقابل المرقق للطاء حاليا.

[15] انظر: عمر، أحمد مختار، "دراسة الصوت اللغوي" ص 288، وبتحقيق مفصل في: الحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" 208-212 يرجح فيه مثلما انتهينا هاهنا أن الطاء كانت مجهورة ثم صارت مهموسة، ولكنه يرى أن ذلك الهمس لا نستطيع أن نجزم بوقت حدوثه، حيث توجد شواهد تدل على حدوثه في زمن مبكر، كما أشار إلى وجود اضطراب في بعض النصوص التي تناولت هذا الموضوع قديما.

[16] انظر: عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة " 42-43

[17] انظر: عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة " ص 34، 51، 61، والبهنساوي، حسام، "دراسات في علم الأصوات" ص 101-104

[18] السخاوي، علم الدين علي بن محمد (المتوفى 643هـ)، "فتح الوصيد في شرح القصيد"، تحقيق ودراسة مولاي محمد الإدريسي، ط1، (مكتبة الرشد 1423هـ/2002م) 2/ 1358

[19] مصلوح، سعد، "دراسة السمع والكلام"، ط1، (القاهرة، عالم الكتب 1420هـ/ 2000م) ص 177، وانظر شرحه التفصيلي فيما بعد تلك الصفحة.

[20] انظر: عبد التواب، رمضان، "فصول في فقه العربية"، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي1408هـ/1987م) ص 132-133، 146-147، وبشر، "علم الأصوات" ص 381-384، وعبد التواب، رمضان، "التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه"، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي1417هـ/1997م) ص 27-28، وفي: أنيس، إبراهيم، "الأصوات اللغوية"، ط 5 (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1975م) ص 77- 83 عرض لأدلة أن الجيم قبل الإسلام لم تكن معطشة، وتوجد أدلة على خلاف ذلك، انظر: شاهين، عبد الصبور، "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي" ص 229، وفي عمر، أحمد مختار، "دراسة الصوت اللغوي" ص 337-341 رأي حول صور نطق الجيم وتطور نطقها.

[21] انظر: بشر، "علم الأصوات" ص 310 وما بعدها، والتعقيب عليه في الحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص 243-244

[22] عمر، أحمد مختار، "دراسة الصوت اللغوي" 239-240، وهو في الحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص 241-242

[23] الكشكشة: لهجة لبعض القبائل العربية، وهي عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شينا، أو إلحاقها شينا، فيقولون: أعطيتكِش وأكرمتكِش. والكسكسة: إبدال كاف المخاطَبة سينا في لهجات بعض القبائل العربية، يقولون: أعطيتكِس وأكرمتكِس، بدلا من أعطيتكِ وأكرمتكِ. انظر: عبد التواب، رمضان، "فصول في فقه العربية" ص 140-142، والتعليل الصوتي لهاتين اللهجتين في عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة" ص 78

[24] السخاوي، علم الدين علي بن محمد (المتوفى 643هـ)، "جمال القراء وكمال الإقراء"، تحقيق عبد الكريم الزبيدي، ط1، (بيروت، 1413هـ/1993هـ) البيت 15 ص 367

[25] انظر: الحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص 240 -244، وشاهين، عبد الصبور، "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي" ص 229، وأركيبي، عزيز، "مخارج الحروف عند القراء واللسانيين" ص 194-198، وجبل، محمد حسن، "المختصر في أصوات اللغة العربية" ص 101-103

[26] انظر: عبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة" 46

[27] الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية"، (القاهرة، دار غريب 2002م) ص 16، 144 وقد استعرض تعريف القلقلة عند بعض علماء التجويد وأهل اللغة وخرج من ذلك بأن القلقلة تنتمي لجنس الصوائت.

[28] سالم، صفوت محمود، "فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد"، ط2، (جدة، دار نور المكتبات1424هـ / 2003م) ص 45

[29] والذين يرون المذهب الثالث يخطّئون المذهبين الأوليين بطبيعة الحال. انظر: الشايجي، عمر خليفة، "المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد" ص 205-206، والمصري، محمود بن علي بسّة (المتوفى بعد 1367هـ)، "العميد في علم التجويد"، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى، ط1، (الإسكندرية، دار العقيدة 1425هـ / 2004 م) ص 66، وأبو الوفا، على الله بن علي، "القول السديد في علم التجويد"، ط3، (المنصورة، دار الوفاء 1424هـ / 2003م) ص 171، والعبد، محمود بن محمد، "الروضة الندية شرح متن الجزرية"، صححه وعلق عليه السادات السيد منصور، ط1، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث 1422هـ/ 2001 م) ص 29، ورواية البيت المذكور في بعض المصادر (وقلقلة ميّل إلى الفتح مطلقا... ولا تتبعنها بالذي قبل تجملا).

[30]. انظر: أحمد، أحمد راغب، "فونولوجيا القرآن، دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم اللغة الحديث"، (رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2004م) ص 151-153

[31] الشوا صوت صائت وسطي، أي يرتفع فيه وسط اللسان في وسط التجويف الفموي، وتكون فيه الشفتان غير مدورتين، وتندرج كل الصوائت الوسطية غير المحددة والمحايدة لونا من الناحية الصوتية تحت صنف الشوا أو تحت مفهوم الصوائت الوسطية المقصرة (المختلسة). ولفظ الشوا مستعار أساسا من اللغة العبرية، ثم انتقل إلى الألمانية، واستخدمت الإنجليزية نفس الهجاء الألماني. انظر: الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" ص 146

[32] انظر: الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" ص 147، 152

[33] المربع منقول عن: الغامدي منصور بن محمد، "تصميم رموز حاسوبية لتمثل ألفبائية صوتية دولية تعتمد على الحرف العربي"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العلوم الهندسية ، م(١٦)، ع(٢)، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ، ص 36 (بتصرف يسير).

[34] الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" ص 148- 153

[35] الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" ص 142-143

[36] الأستاذ الدكتور عمر صابر عبد الجليل أستاذ اللغات السامية في كلية الآداب جامعة القاهرة، وقد ذكر لي هذا في لقاء جمعني به في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يوم 2019/12/23م، وقد شرح لي مشكورًا كتابةً أن السكون في العبرية نوعان، نوع اسمه (شوا نع) وترجمته السكون المتحرك، ونوع اسمه (شوا نح) وترجمته السكون الساكن أو التام، وأخبرني أنه يرى أن ترجمة النوع الأول غير منطقية لأن الساكن لا يكون متحركا، وأن الأقرب للصواب ترجمته بالصائت المختلس كما هو الأمر عند علماء العربية. وكلمة (الشوا – schwa) بكسر السين وتُنطق فيها الواو فيها كصوت (v) في الإنجليزية.

[37] سيأتي ذلك في الصفحات المقبلة في هذا البحث تحت عنوان (علة القلقلة).

[38] انظر: بشر، "علم الأصوات" ص 380 (بتصرف)، وراجع: الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 123، والهدهد، حمدي صلاح، "مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث" 585/2-586

[39] لفظ (مستقلة) هنا أعني بها أنها شيء زائد عن لوازم انفجار الصوت، حتى وإن تزامنت مع ذلك الانفجار.

[40] السعران، محمود، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، (القاهرة، دار الفكر العربي 1420هـ/ 1999م) ص 128

[41] بيّن القيسي، مكي بن أبي طالب (المتوفى 437 هـ)، "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، تحقيق مكتبة قرطبة للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، (مكتبة قرطبة 2005م) ص 70 المقصود بمصطلح " المشربة " بأنها المخالِطة في اللفظ لغيرها، وهي مخالّطة لأن غيرها يخالطها، وذكر أنها ستة أحرف اتسعت فيها العرب فزادتها على التسعة والعشرين الحروف المستعملة، كهمزة بين بين. وما يهمنا هنا هو معنى المصطلح. وانظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، "الكتاب" 174/4، وبشر، "علم الأصوات" ص 379

[42] السيرافي، أبو سعيد، "شرح كتاب سيبويه"، تحقيق أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية 2008م) 388/5

[43] كذا في ابن جني، أبو الفتح عثمان، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي 1954م) ص 73، وفي ذات الكتاب تحقيق: د. حسن هنداوي، ط1، (دمشق، دار القلم 1985م) ص 63، وذات اللفظ ثابت فيه في طبعة (بيروت، دار الكتب العلمية 1421هـ/ 2000م) 77/1، والمذكور في بشر، "علم الأصوات" ص 381 نقلا عن هذا الموضع " بصويت " بالتصغير.

[44] ابن جني، أبو الفتح ، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: حسن هنداوي ص 63

[45] العطار، الحسن بن أحمد (المتوفى 569 هـ)، "التمهيد في معرفة التجويد"، تحقيق جمال الدين محمد شرف، ومجدي فتحي السيد، (طنطا، دار الصحابة للتراث 1426هـ/ 2005م) ص 252

[46] الجريسي، محمد مكي نصر، "نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد"، دققها أحمد علي حسن، وراجعها الشيخ علي محمد الضباع، ط4، (القاهرة، مكتبة الآداب 1432هـ/2011 م) ص 75، وذكر أن هذا لفظ أبي شامة نقلا عن صاحب الرعاية، ولم أعثر على هذا النص عند أبي شامة، ومعناه دون لفظه عند القيسي، مكي بن أبي طالب (المتوفى 437 هـ)، "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" ص 64. وقد تكرر عند الجريسي وغيره وصف الصوت بأنه زائد، ولكنه مع ذلك يرى أنه ملازم لأصوات القلقلة في كل حال من سكون وحركة.

[47] ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، "النشر في القراءات العشر" 203/1، وقد سبق هذا النص بكامله قريبا، وابن الجزري نقله عن المبرد موافقا له.

[48] الجريسي، محمد مكي نصر، "نهاية القول المفيد " ص 76-77

[49] الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" 122

[50] السعران، محمود، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" ص 132، 134

[51] السعران، محمود، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" ص 135

[52] بشر، كمال، "علم الأصوات" ص 380

[53] بشر، كمال، "علم الأصوات" 393

[54] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع(10)، رجب 1434هـ/ 2013م، ص 203 (بتصرف يسير)

[55] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 202 (بتصرف يسير)

[56] أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن المقدسي (المتوفى 665هـ)، "إبراز المعاني من حرز الأماني"، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي 1402هـ /1981م) 755، وما انتهيت إليه هاهنا هو خلاصة ما انتهى إليه د. حمدي الهدهد في دراسته لمصطلحات علم القراءات، حيث انتهى إلى أن خلاصة المستفاد من عبارات القدماء أن صوت القلقلة خارج كلية عن الصوامت، وأنه ليس جزءًا من الصوت المقلقل، وأنه ليس حركة كاملة. انظر: الهدهد، حمدي صلاح، "مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث" 592/2، 594-595، 598-599

[57] ابن جني هنا لم يكن يقصد القلقلة فقط، بل كان يشير إلى القلقلة وما يشبهها، كالنفخ والهمس ونحوهما.

[58] ابن جني، أبو الفتح ، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: حسن هنداوي ص 77

[59] عمايرة، إسماعيل أحمد، "نظرات في التطور الصوتي للعربية، مثلٌ من ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية"، حوليات الجامعة التونسية، ع(35) 1994م، ص 119-120

[60] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 204- 205

[61] علم التجويد القرآني، د. علام ص 99، نقلا عن الهدهد، حمدي صلاح، "مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث" 592/2-593

[62] انظر الرسوم الطيفية مكتملة في: أحمد، أحمد راغب، "فونولوجيا القرآن، دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم اللغة الحديث" ص 136 - 141

[63] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 195، 208

[64] أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن المقدسي، "إبراز المعاني من حرز الأماني" ص 755، ويُلاحظ أن تعريف الجهر والشدة متقاربان وبينهما تداخل، فالجهور منع للنفَس والشديد منع للصوت، وهذا أمر فيه لَبس، فليس في الجهر منعٌ، وهكذا أمرهما من لدن سيبويه، وهذا الخفاء أو التداخل إنما هو على مستوى المصطلحات فقط، نتيجة عدم معرفة القدماء بدور الوترين الصوتيين في عملية الجهر، ولا عيب في ذلك، وفيما عدا الاصطلاح فإن الفرق بين الأمرين كان واضحا عند القدماء على مستوى التطبيق. انظر: الجريسي، محمد مكي نصر، "نهاية القول المفيد" ص 65-66، وأنيس، إبراهيم، "الأصوات اللغوية" ص 123 وما بعدها، وعبد التواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة" ص 39-41

[65] ابن جني، أبو الفتح ، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: حسن هنداوي ص 77

[66] الجريسي، محمد مكي نصر، "نهاية القول المفيد" ص 75

[67] انظر: أنيس، إبراهيم، "الأصوات اللغوية" ص 156، 179

[68] الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" 144-145 (بتصرف)

[69] السعران، محمود، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" ص 136

[70] الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 122،والحمد، غانم قدوري، "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص 259

[71] علم الأصوات (الإصدار القديم) 116 نقلا عن الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" ص 145

[72] بشر، كمال، "علم الأصوات" ص 390

[73] بشر، كمال، "علم الأصوات" ص 390، وأكد ذلك في ص 393، وستأتي مناقشة هذا الرأي في الصفحات المقبلة.

[74] مصلوح، سعد، "دراسة السمع والكلام" ص 175-176 وقد أيّد أستاذنا الدكتور سعد مصلوح كلامه هذا برسم كيموجرافي لكلمتي (بنج) و(جبن) في العامية المصرية، حيث ظهر ضعف انفجار الباء في كلمة (بنج) وخلوه من نغمة الحنجرة، بخلاف كلمة (جبن). وهذا الرأي قال به كذلك د. عبد الرحمن أيوب ود. فوزي حسن الشايب. انظر رد د. غانم قدوري على هذا الرأي في: الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 124-125

[75] القلقلة د. إستيتية 203 (بتصرف يسير)

[76] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 205

[77] إستيتية، سمير ، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 204- 205

[78] الضالع، محمد صالح، "التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية" ص 145، وأنا هاهنا استعرت عبارته فحسب، وإلا فإنه كان يتحدث عن سبب عدم إضافة القلقلة إلى الأصوات الشديدة المهموسة فحسب.

[79] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 205

[80] عمايرة، إسماعيل أحمد، "نظرات في التطور الصوتي للعربية" ص 132، 139

[81] أحمد، أحمد راغب، "فونولوجيا القرآن" ص 136-142، وإستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 208- 209

[82] الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 108

[83] إستيتية، سمير، "حروف القلقلة دراسة فيزيائية مخبرية" ص 234

[84] ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، "النشر في القراءات العشر" 203/1

[85] السخاوي، علم الدين علي بن محمد (المتوفى 643هـ)، "جمال القراء وكمال الإقراء" 361/2

[86] الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 119 (بتصرف)

[87] مرّ بنا ما ذكره السعران من أن القلقلة صائتة، أما الهمس فصامت. انظر: السعران، محمود، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" ص 132

[88] الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 121

[89] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، "الكتاب" 175/4

[90] سالم، صفوت محمود، "فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد" ص 40، وانظر: عمايرة، إسماعيل أحمد، "نظرات في التطور الصوتي للعربية" ص 128- 131

[91] الجريسي، محمد مكي نصر، "نهاية القول المفيد" ص 77، وانظر: القيسي، مكي بن أبي طالب (المتوفى 437 هـ)، "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" ص 72

[92] خلافا لما دعا إليه إسماعيل عمايرة. انظر: عمايرة، إسماعيل أحمد، "نظرات في التطور الصوتي للعربية" ص 137-138

[93] انظر: حسان، تمام، "مناهج البحث في اللغة"، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية) ص 141-142، ومثّل بذلك بكلمة (عقْل)

[94] الحمد، غانم قدوري، "المدخل إلى علم أصوات العربية" ص 122

[95] عمايرة، إسماعيل أحمد، "نظرات في التطور الصوتي للعربية" ص 139

[96] وهي كذلك عند المحدثين كذلك باستثناء الجيم كصوت مركب، يبدأ انفجاريا شديدا وينتهي احتكاكيا.

[97] بشر، كمال، "علم الأصوات" ص 392- 393

قائمةالمراجع والمصادر

Ahmad, Ahmad Raghib, " Phonologya alquran, dirasaa liahkam altajweed fi daw' elm allugha alhadith" , (rsalat majstir, qism allugha alarabia, kuliyat aladab, jamieat ain shams 2004 m)

'Arkibi, Aziz, "makharj alhuruf 'eind alqurra" wallisanyeen dirasaa muqarina" , t 1 , (Bairut, dar alkutub alilmia 1433 h / 2012 m)

Istitia, Samir Sharif, "huruf alqlqalaa dirasaa fiziya'yaa makhbrya", majalat jamieat om alquraa liolum allugha wa 'adabiha , e (10) , rajab 1434 h / 2013 m

Anis, Ibrahim, "al'aswat allughawia", t 5 (Alqahira, maktabat al'anjilu almisriat 1975 m)

Bishr, Kamal, "elm al'aswat", (Alqahira, dar Gharib 2000 m)

Albahnasawi, Husam, "drasat fi elm al'aswat", (Alqahira: 1999 m)

Jabal,Muhamad Hasan, "almukhtasar fi aswat allugha alarabia", t 6 , (Alqahira , maktabat aladab 1431 h / 2010 m)

Aljarisi, Muhamad Makki Nasr, "nhayat alqwl almufid fi elm tajweed alquran almajeed" , daqaqahu 'Ahmad Ali Hasan , wa raja'hu alshaykh Ali Muhamad aldabba' , t 4 , (Alqahira , maktabat aladab 1432 h / 2011 m)

Ibn Aljazari, Shams Addyn Abu Alkhayr Muhammad ibn Muhamad ibn Yusuf (almutawafaa: 833 h) , "alnashr fi alqira'at alashr" , tahqiq Ali Muhammad Addabba', t 1 , (dar almughni lilnashr wattawzie 1422 h / 2001 m

Ibn Jiniy, Abu Alfath Uthman, "sir sina'at ale'rab" , tahqiq: dr. hasan hindawi , t 1 , (dimashq , dar alqlam 1985 m)

Ibn Jiniy , Abu Alfath Uthman , "sir sina'at ale'rab" , tahqiq: Mustafaa Assaqqa wa akharin , (Alqahira , maktabat wa matba'at Mustafaa Albabi Alhalabii 1954 m)

Ibn Jiniy , Abu Alfath Uthman , "sir sina'at ale'rab": t 1 , (Bairut, dar alkutub al'elmia 1421 h / 2000 m)

Hassan , Tammam, "manahij albahth fi allugha" , (Alqahira , maktabat alanjilu almasria)

Alhamd , Ghanim Qaduri , "aldirasat alsawtia 'eind 'olamaa' altjweed" , t 2 , (Amman , dar Ammar 1428 h / 2007 m)

Alhamd , Ghanim Qaduri , "almadkhal ilaa 'elm aswat alarabia" , (Bghadad , almajm' al'elmi al'eraq 1423 h / 2002 m)

Arabawi, Farghali sayd, "huruf alqalqalaa bayn alqudamaa walmuhdathin" , t 1 (Alqahiraa , maktabat awlad alshaykh , 1428 h / 2007 m

Alattaar , Alhasan ibn Ahmad (almutawafaa 569 h) , "attamheed fi ma'rifat altjweed" , tahqiq Jamal Addyn Muhamad Sharaf , wa Majdi Fathi Assyd , (Tanta , dar assahaba lilturath 1426 h / 2005 m)

'Amayra, Isma'il Ahmad , "nazarat fi attatawur assawti lilarabyaa, mathal min zahirat alqlqala walaswat alinfijaria", hawlyat aljami'aa attuwnisia, e (35) 1994 m

Omar, Ahmad Mukhtar, "dirasat assawt allughawi" , (Alqahira, 'alam alkutub 1418 h / 1997 m)

Alghamidi Mansur ibn Muhamad, "tasmim rumuz hasubia litumathil alfbayyaa sawtia dwalia ta'tamid 'alaa alharf alarbi" , majalat jami'at almalik Abd alaziz, al'ulum alhandasia, m (16) , e (2) , 2006 m / 1427 h

Alfarahidi, Alkhalil ibn ahmad (almutawafaa 170 h) , "kitab al'ayn" , tahqiq Mahdi Almakhzumi, wa Ibrahim Assameraey , (Bairut 1400 h / 1980 m)

Alqaysy, Maki ibn Aby Talab (almutawafaa 437 h) , "alri'aya litajweed alqiraya watahqiq lafz attilawa" , tahqiq maktabat qurtubaa lilbahth al'elmi wa tahqiq atturath , t 1 , (mktabat qurtubaa 2005 m)

Almubarid, Muhamad ibn Yazeed ibn 'abd Alakbar (almutawafaa: 285 h) , "almuqtadab" , tahqiq Muhamad 'abd Alkhaliq Uzaima , (Bairut, 'alam alkutub)

Almisri, Mahmud ibn 'ali Bissa (almutawafaa ba'd 1367 h) , "al'amid fi 'elm altjweed" , tahqiq: Muhamad Alsadiq Qamhawy, t 1 , (Aliskandaria, dar al'aqida 1425 h / 2004 m)

Masluh, Saad, "dirasat assam' walkalam" , t 1 , (Alqahira, 'alam alkutub 1420 h / 2000 m)

Ibn manzur, Jamalu addyn Muhamad ibn Makram (almutawafaa: 711 h) , "lisan alrab" , t 3 , (Bairut, dar sadir 1414 h)

Alhudhud, Hamdi Salah, "mustalahat 'elm alqiraat fi daw 'elm almustalah alhadyth" , t 1 , (Alqahiraa, dar albasayir 1429 h / 2008 m)

Abu Alwafaa, 'alyu allah ibn 'ali, "alqawl alsadid fi 'elm altjweed" , t 3 , (Almansura, dar alwafaa' 1424 h / 2003 m)

Salim , Safwat mahmud , "fath rabu albariya sharh muqadimat aljazaria fi 'elm altajweed" , t 2 , (Jadaa , dar nur almaktabat 1424 h / 2003 m)

Assakhawi , 'Alam Addin 'Ali Ibn Muhammad (almutawafaa 643 h) , "jamal alqurra' wakamal aliqraa'" , tahqiq 'abd alkarim alzubaydi , t 1 , (Bairut, 1413 h / 1993 h)

Assakhawi , 'Alam Addin 'Ali Ibn Muhammad (almutawafaa 643 h) , "fatah alwasid fi sharh alqased" , tahqiq wadirasat Mawlay Muhamad Alidrisi , t 1 , (mktabat alrushd 1423 h / 2002 m)

Assa'ran, Mahmud, " 'elm allugha muqadima lilqari alarabi", Alqahira, dar alfikr al'arabi 1420 h / 1999 m)

Sybwih , 'amrw ibn Uthman ibn Qanbar (almutawafaa: 180 h) , "alkitab" , tahqiq 'abd Alsalam Muhamad Harun, t 3 , (alqahira , maktabat alkhaniji 1408 h/1988 m)

Assiyrafi, Abu Saeid , "shrah kitab Sybwyh" , tahqiq 'Ahmad Hasan Mahdali, wa 'Ali Sayd Ali, t 1 , (Bairut, dar alkutub al'eilmia 2008 m)

Abu Shama, 'Abd Arrahmin ibn Isma'el ibn Almaqdisi (almutawafaa 665 h) , "ibraz alma'ani min herz alamani" , tahqiq 'Ibrahim Atwaa Awad , (alqahira , maktabat Mustafaa Albabi Alhalabi 1402 h / 1981 m)

Shahin , 'Abd Assabur , "'athar alqirraat fi alaswat wa annahw alaarbi" , t 1 , (Alqahira , maktabat alkhanji 1408 h / 1987 m)

Ashshayjy , Omar Khalifa , "almu'jam altajwidi liashhar alfaz 'elm altjweed" , t 1 , (ghiras lilnashr wattawzie 1431 h / 2010 m

Alddalie, Muhammad Salih , "altajweed alqurani dirasatun sawtiatun fiziayiya" , (Alqahira, Dar Gharyb 2002 m)

Al'abd , Mahmud Ibn Muhamad , "alrawda annadia sharah matn aljazaria" , sahahahu wa 'alaq 'alayh Assadat Assayd Mansur , t 1 , (Alqahira , almaktaba alazharia lilturath 1422 h / 2001 m)

'Abd Attawaab, Ramadan , "attatawur allughawi , mazahirahu wa 'elalahu wa qawaninah" , t 3 , (Alqahira , maktabat alkhanji 1417 h / 1997 m)

'Abd Attawaab, Ramadan, "fusul fi fiqh al'arabia" , t 3 , (Alqahirat , maktabat alkhanji 1408 h / 1987 m)

'Abd Attawaab, Ramadan, "almadkhal ilaa 'elm allugha wa manahij albahth allughawi" , t 3 , (Alqahirat , maktabat alkhanji 1417 h / 1997 m)